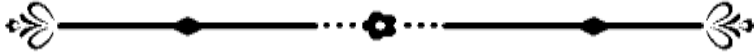
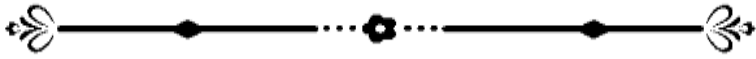


الناموس

قصص قصيرة



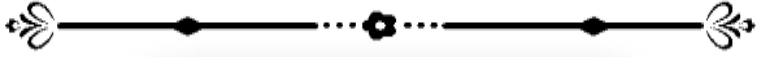


الناموس

قصص قصيرة

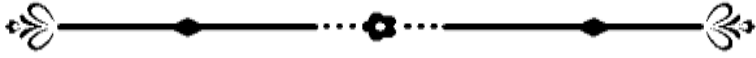
بهائي راغب شراب





حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.



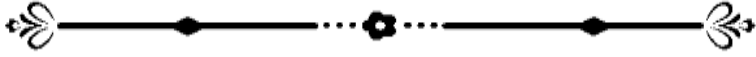


إهداء

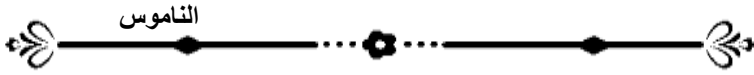
هذه المجموعة تمثل روعي الأولى وتفاعلاتي الإنسانية وآمالي في العودة
المظفرة لكل مواطن فلسطيني إلى بيته وإلى حقله داخل فلسطين،
ومشاعري المتدفقة في داخلي تجاه وطني فلسطين المغتصبة...

أهدي هذه المجموعة للإنسان الفلسطيني الذي صمد وصبر وقاوم وقدم
التضحيات من دمه وروحه وأغلى ما يملك من أجل فلسطين
وأهديها إلى غزة الروح والجهاد والمقاومة.

بهائي راغب شراب



خطواتنا الأولى دائما تكون..
الدليل الموجه لنا في خضم الحياة
وكتاباتنا الأولى تعبر دائما..
عما نعيشه من خوف ومن أمل
وحروفنا الأولى هي من تلون حياتنا..
بالأبيض أو بالأسود
والأجمل في حياتنا أن نؤسسها على..
الحب والإيمان والعطاء والتواضع



الناموس¹

7/ 2 / 1981

..

يتقدم الناموس نحو الأرض التي يرتفع على بابها إعلان كبير نقشت على وجهه المضيء حروفاً منيرة تقول: " الأرض الآن مغلقة للتحسينات .. "

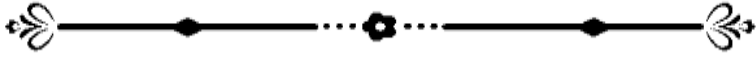
ناموس

الأرض تلد الحياة، تماماً كما أنها تدفنها في باطنها الملتهب، الأرض جزء من الإنسان وبدونه لا تولد الحياة فوقها، فما الأرض الا تجمع بشري تراكم عبر العصور إلى أن أتى الوقت الذي انعدم فيه الفرق بين الأرض كجماد وبين الإنسان كحياة، حيث اتحد الاثنان في ذات واحدة...
لقد خلق الله الأرض .. وخلق الله الإنسان.

آية

عبد الرحمن إنسان يولد كل يوم، ومع الولادة ينبعث صراخه بلا انقطاع، منذ دفعته والدته إلى الحياة وهو يصرخ، اتحدت صرخاته مع صرخات أمه التي تفتق جرحها عن النزيف الذي لم يتوقف حتى اليوم، ينمو طلق ولادته

¹ نشرت في صحيفة الفجر الاماراتية عام 1982



في ذاكرته، يتحول إلى رشقات رصاص، ينمو أكثر ... يتحول إلى طلق مدافع.. ينمو أكثر ... يتحول إلى أزيز مدمر يخلق فوق رأسه، ينسف تعبيرات البراءة والانفعال الطفولي في نفسه، لقد أصبح حاقداً تتواری خلف حقه آماله الخفية في الحب والحياة.

عندما قالوا له أن أمه اختفت بعيد ولادته لم يصدق ما يقولون، قالوا له لقد أعطتك حياتها ثم اختفت، يريدون تحميله إثم اختفائها، يريدون له عندما يكبر ويمشي بين الناس أن يطأطي رأسه تكفيراً عن ذنب لم يرتكبه ولا يعتقد بصدوره عنه.

كانوا جميعاً يحبونها ويتوددون إليها، كانت طيبة تجمع في طياتها طيبة جميع النساء، كانت بارعة الجمال .. جمالها يزرع الآمال والعنفوان في العيون التي تراها، كانت منبعاً للحياة والدليل ولادتها له فقد أعطته الحياة ومضت..

إن أحداً لم يستطع تقديم تفسير له ... لماذا تركوها تذهب ولماذا وافقوا على استقباله، وهو القاتل كما يقولون .. لماذا تخلوا عنها وتركوها تعاني بمفردها آلام المخاض العسير، واحداً منهم لم يفكر باستدعاء الطبيب وتقديم العلاج لها، بل أن أحداً لم يفكر بالشد على يدها ليعطيها الثقة والأمان كل ما استطاعوا قوله أنهم ينفذون وصيتها ويستقبلوه.

ناموس

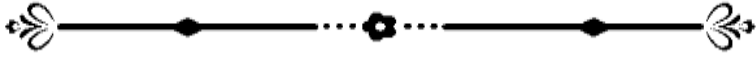
فاطمة تحبه .. وهو يعرف ذلك لأنه يحبها أيضاً .. لعلها الشيء الوحيد الذي يشعره بقيمته فوق الأرض... إنها تعلم أن الجميع يخادعونهم وهم جميعاً يحاولون الانتقام منه لأنه ابن المرأة التي رفضت الاستسلام لهم ورفضت منحهم مفاتيح نبعها الخالد لأنها ليست صاحبه ولأنه ليس من حقها منحه لأحد غير صاحبه وهي فقط أمينة تحفظ الأمانة

آية

شاركت فاطمة عبد الرحمن همومه، جعلت أوقاتها ملكاً له وحده، يبدد أحزانه وانفعالاته، لقد جعلت من نفسها الحديقة المقدسة التي تعطر ساكنيها وزارعيها وقاطفيها، إنها تحبه تحبه، وهي أبداً لن تخون قلبها ولن تتخلى عنه، إنه بأمس الحاجة إليها .. الجميع ضده .. ماذا فعل لهم، ولماذا طغيانهم ضده ... سؤال يؤرقهما ويكاد يدمر بصيص النور في حياتهما.. والجواب لا يأتي..

ناموس

عندما نشبت الحرب وانتهت، كان صغيراً لا يفهم معنى أن تندلع الحرب وأن يتحول الإنسان فجأة من إنسان له كامل الحق في تحقيق ذاته الآدمية، إلى مجرد دمية يلهو بها إنسان الحرب ويل للحرب منه وويله منها لقد



علمته الحقد والعيش في حالة استنفار كامل لحواسه ليكون على استعداد دائم لخوض المعركة التي لم تتوقف أبداً.
أخبروه أن أبوه قد مات وهو يحمل بندقيته الكارلو ويتقدم نحو إحدى الدبابات التي ترفع علماً عربياً يعرفه، لم يدر أن الموت يترصده من داخلها... بعد فوات الأوان عرف الحقيقة .. أراد العودة أدراجه ... التفت وراءه فوجد الأبواب موصدةً ... تجمد مكانه.. إن أحداً لم تواته الجراءة للخروج اليه وإعادته ... الغربان تملأ الشارع ومن فوهات المدافع يترصد النعيق كل من يحاول التقدم ... وبلي أبوه... وانتهت المعركة... خرجوا ليعيدوه.. لم يجدوا له أثراً ... بحثوا في كل مكان ... لقد اختفى...

ناموس

يتراكم الحقد في قلب عبد الرحمن، تحاول فاطمة تخفيف وطأة الكبت على نفسه ... تدور حوله .. ترفرف بجناحيها لينطلق معها نحو القمر الذي ينتظر قدومهم إليه بلا كل ولا ملل في سماء الزقاق الذي يحتوي داريهما معاً.. تريده أن يشعر بالهدوء وأن يطعم أمان الحياة.

آية

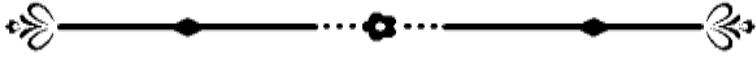
يعاني عبد الرحمن الخوف الذي يزداد يوماً بعد يوم في داخل نفسه، أصبح شاغله الوحيد الانتصار عليه، لم يكن عبد الرحمن جباناً يتوارى أمام النسمات الخفيفة بل قوياً جامع، لم يكن ليخش شيئاً أكثر من طغيان

الخوف على تصرفاته وتفكيره، وخوف عبد الرحمن لم يكن خوفاً عادياً، خوفاً من مواجهة قادمة، ولا خوفاً من مصير ينتظره ويتطلع إليه هو يخاف من خوفه، يخشى مرور الفرصة أمامه فتفلت قبل أن يمسكها ... تمر دون أن يزهو بأنه الوحيد الذي قهر الجمود الذي يصبغ سقوف الرؤوس المتدلية التي لم تستيقظ بعد من شواردها المنفلتة دون انضباط..

إنها الأرض ... الشيء الوحيد الذي يقهر الخوف ليتأبط أرضه تحت إبطه ليغذيها من دماء شرايينه الممتدة بين روحه الهائمة على الشاطئ تبحث عن الميناء الذي سترسو إليه وبين جدائل الأرض الصاعدة من أعماق البركان المتدثر بالأغطية الشفافة يتأهب للانطلاق منها حاملاً معه الموت والحياة..

آية

شيئاً فشيئاً تكبر شجرة الخروب أمام عينيه شامخةً بعظمتها وهيبتها التي تضفيها على المكان حولها .. تتوسط الشيء الوحيد الباقي بعد اختفاء والده بالهمة والعزيمة الجبارة يواصل عبد الرحمن تقليب الأرض بفأسه الثقيل ... لا يشعر بثقله فهو أخف عليه من جوارح الثقوب التي تتسلل خلالها الأفاعي وهي تنفث سمومها وتعصر أعشاش العصافير تبتلع الحياة الرافدة داخل الدرر البيضاء المتأهبة للانشقاق عن شروق الشمس لتسري مع ألقانها المذهبة توزع الأحلام والحرية في كل اتجاه..



آن له أن يرتاح ... فليذهب إلى شجرة الخروب يجلس تحت فيئها وهو يسند ظهره عليها ويتأمل طيور الشنار وهي تشرذ بخفة اللحظات السعيدة التي سرعان ما تزول بعد رقاد الجميع وقد استسلموا للمرض الذي أدمنوه على فراشهم الوثير..

عندما يرتكز عبد الرحمن على الجذع بيده استعدادا للجلوس يلمح عليه شيئا كالكتابة لم ينتبه لها من قبل فيحرق بها وإحساس روحاني يتخلله يخبره أنه سيطرق باب السمو الأبدي الذي يبحث عنه.. ما هذا يبدو كنقش قديم حفر بتصميم على قشرة الجذع السمكة .. تأمله جيداً وبدأ يقرأ العبارة المكتوبة داخل وردة منقوشة .. وقرأ ... " نتعاهد أمام الله أننا سنحب بعضنا وأن نظل أوفياء للأرض .. إلى الأبد .. توقيع: "م - خ" ما هذه الجملة الرائعة الخالدة .. تبدو قديمة جداً لقد كتبت قبل ولادتي اليتيمة دون شك.. والداي كتبها نعم .. هما من نقشا العبارة وأنبتاها هنا.. نعم هما ف.م. و.خ. هما أول حرفين من اسميهما محمود وخديجة .. نعم هما آه ما أقسى لوعة الاكتشاف والتذكر ... لقد اختفيتما وتركتما الأمانة أحملها وحدي لكنني أعدكما أنني سأثبت على العهد وسأنقش اسمي معكما لأواصل مسيرتكما..

ناموس

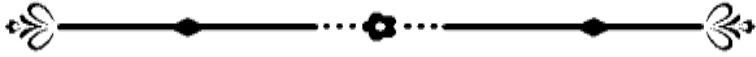
ينقش عبد الرحمن اسمه بعد والديه .. الآن يشعر بالراحة فقد أصبح
شريكهما في عهدهما وعليه يظل الوفاء به..

آية

فاطمة .. يقول عبد الرحمن: هل تتزوجيني ؟
أعِدْ ما تقول لم أسمع جيداً . فاطمة ترد عليه
عبد الرحمن بصوت مرتفع: هل تتزوجيني يا فاطمة
فاطمة: هل أنت واثق أنك تريد ذلك فعلاً
عبد الرحمن: الثقة كلها فأنت تعلمين مدى حبي إياك
فاطمة: كدت أياأس أن تتقدم للزواج مني .. وحسبت أن الرياح ستأخذك
بعيداً

عبد الرحمن: يبدو أن حبك لي أضعف مما حسبت
فاطمة: إنه أنت من يشرد باستمرار .. كأنك لا ترغب بالخوض في هذا
الحديث

عبد الرحمن: ها أنا أخوضه الآن ... هل تتزوجيني ؟
فاطمة: لم أعلم أن البنات يخطبن في الشوارع
عبد الرحمن: لكنني عبد الرحمن..
فاطمة: ولذلك أقول لك ... أبي في البيت ومستعد لاستقبالك



عبد الرحمن: الليلة أكون عندكم إن شاء الله..

ناموس

يقام الفرح ... وتنتقل العروس الى عشاها الجديد وحدهما الحب الذي
استعر لهيبه في قلبيهما ... أي أيام قادمة وأياً كان برودها لن تطفئه

آية

فاطمة: آه ما أعظم السعادة التي تجتاحني وأنا معك لا يمكنك قياسها
بمقياس آدمي .. أبداً ... سعادتي في ازدياد لأنني أقرب منك أكثر واحبك
أكثر.

عبد الرحمن: سعادتي بك تفوق أية سعادة أخرى يمكن لقلب أن يحملها
بين جوانحه.

فاطمة: الحمد لله .. أتعرف عند لحظات معينة يهزني الخوف والإحساس
بأنني قد لا أملك هذه السعادة حقيقة وإنما حلم أعيش فيه يخدرني حيث
تستشف حواسي لتصبح عبيراً يوزع أريجيه فوق الأرض

عبد الرحمن: ما هذا ... أراك جادة في ملامحك .. اسمعي ... إياك والعودة الى
مثل هذه التفوهات التي لا معنى لها .. سعادتنا لا يجب أن يقهرها الخوف،
إنه أقسى شيء ويدمر كل شيء..

فاطمة: ها .. ها .. اطمئن أنا أقوى بحبي لك وما دمت معي لن آبه لشيء
أبداً.. الشهور الثلاثة الماضية كانت بعمرى كله الذي قضيته بعدة عنك.

ناموس

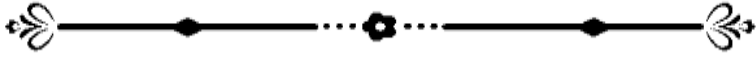
يدخل عبد الرحمن على فاطمة ساهماً في وجهة مسحة حزن وقسمات عزم...
يرتجف قلب فاطمة لرؤيته، وتوجس في نفسها أمراً لم يكن ليغيب عنها..
تتقدم منه ... هل أعد الطعام ..؟

عبد الرحمن: لا .. لست جائعاً ... أقول لك .. أعدّيه ولنأكل معاً..
فاطمة تعد الطعام .. أُمّر عبد الرحمن غريب اليوم، لم يتكلم بهذا المعنى
الغامض من قبل .. ماذا يعني بقوله لنأكل معاً .. دائماً نأكل معاً....
تجلس فاطمة قُدّام عبد الرحمن .. يتناولان طعامهما كعادتهما .. لولا
الصمت القاتل المخيم حول صينية الطعام.

عبد الرحمن: فاطمة .. أنا مسافر وسأغيب بضعة أيام..
فاطمة وقد شحب وجهها: تسافر .. تحبط بيديها على صدرها .. إنك حتى لم
تفكر بالسفر إلى المدينة المجاورة .. وتتغيب ..! إنك حتى لا تقدر مفارقة
الأرض ولا الدار ... إلى أين السفر؟

عبد الرحمن: مسافر .. هذا فقط ما يجب أن تعرفه الآن
فاطمة بهلع: أنا زوجتك حبيبتيك .. ألا يعطيني هذا الحق في معرفة وجهة
سفرك

عبد الرحمن: ستعرفين .. صدقيني لكن ليس الآن .. عندما أعود...
فاطمة: عندما تعود .. ومتى تعود!..



عبد الرحمن: لا أعرف تماماً .. أرجوك لأجل حبنا لا تلجئي علي بالسؤال وأؤكد لك أنك ستعرفين..

فاطمة: أعرف كل شيء ! .. متى .. أبعد أن أفقدك!..

عبد الرحمن: ماذا تقولين..؟ تفقديني أي جنون ما تتكلمين فيه..
أتحسبيني بقادر على تركك

فاطمة: أعرف ما تنوي .. أعرفه جيداً .. دائماً يتمثل أمامي ويفسد لحظات سعادتي .. أعرف أنه السفر الذي لا يرجع منه أحد .. تبكي.

عبد الرحمن: فاطمة.. فاطمة .. أرجوك هدي من روعك ... الأمور ليست بهذا السوء الذي تتخيلينه .. أؤكد لك أنني سأعود .. سأعود

فاطمة: كما عاد أبوك .. المسافر لا يعود .. أعرف حظي .. عرفت دوماً أنك مسافر، لكنني رضيت وتمنيت أن يتأخر ميعادك .. واليوم جاء، جاء ليقتنصك .. يأخذك بعيداً .. ليس لي إلا التوجه إلى الله بالدعاء أن تعود وأن يصبرني على فراقك حتى ترجع مرة أخرى الى دارك وأرضك وحببتك..

عبد الرحمن: ستكونين معي دائماً عند كل لحظة أتوقف عندها لأتزود بالوقود لباقي الطريق .. ستكونين معي ... ومولودنا القادم الذي أجهل ماذا سيكون .. احرصى عليه حرصك على حبنا..

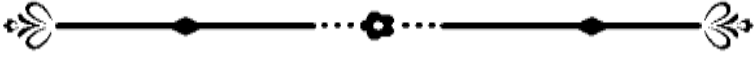
آية

كانت فاطمة تجلس وحيدة في حوش الدار عندما دهم جنود الاحتلال الدار من أسفل ومن أعلى وحطموا الباب المفتوح ... ذهلت .. وملأها الرعب عندما توجه أحدهم نحوها وشدها بقسوة من شعرها وسألها: من أنت ؟ .. أين زوجك أيتها العربية الوقحة .. أين هو ذلك المخرب ... سترون ما نفعل به عندما يقع بين أيدينا....

تتقلص ملامح فاطمة ،لم تعد تسمع ما يقولون عن رجلها .. إنهم يبحثون عنه.. إذن فقد اختار طريقه .. كان الله معه .. إنه مسافر .. نعم هي لا تعرف إلا أنه مسافر..

ويبدو أن محطاته شديدة العنف والقسوة وسيعاني ... لكنه رجل نعم إنه عبد الرحمن ... الرجل الذي أحبه...

يعود صوت الجندي يخرق أذنيها ... هيا أيتها العربية أخرجي من دارك ... لم تعد دارك .. سننسفها .. هيا قبل أن تنفجر وتدفنك أنقاضها .. أسرع ما بالك جامدة لا تتحركين .. لا وقت لدينا لنقضيه في إقناعك بالخروج ... يشير إلى عدد من الجنود الآخرين ..علينا الانتهاء من هذه العملية بسرعة فثمة عدد آخر من الدور سننسفها اليوم..



فاطمة...

إنها لا تصدق ما يجري أمامها لكنه أسلوبهم ..أينسفون دارها . أحلامها ..
آمالها ... وعبد الرحمن وابنتا ... ماذا يبقى لنا لو نسفوا الدار..
لا .. لا .. لا .. لن أدعكم تفجرونها أيها الأندال إنها داري وإسمي وعمرى
كله، إنها حقيقي الوحيدة .. إنها التاريخ الجميل في حياتي، وهي صفحات
نصوبي التي أواظب على قراءتها كل صباح ومساء، لن أدعكم تبددونها في
لحظة عابرة من لحظات إثمكم وفجورك .. لا .. لا .. لن أستسلم أبداً ..
تقاومهم وهم يتجهون نحوها يحاولون الإمساك بها... يفرغ صبرهم ..
يلطمها أحدهم على وجهها الطاهر الصارخ .. أنذال .. أنذال .. أنذال ..
يتجاذبها الجنود المدججين بالسلاح فيما بينهم ويحملونها عنوة بعيداً عن
الدار ويألفها من كارثة ... كارثة .. سرى صوت الى أسماعها كأنه سم الأفاعي..
آخاد .. شتايم .. شالوش .. ثم صوت انفجار غاضب رهيب يزيل الدار من
الأرض ويزلزل الدور المجاورة.

ناموس

إنهم ما يزالون يبحثون عن عبد الرحمن .. لم يعثروا له على أثر ... لقد اختفى.

آية

ينمو الحمل في رحمها .. تحاول الترويح عن نفسها من أجل طفلها المرتقب.. وقررت أن تذهب الى الحقل لعلها ترى بعض آثار زوجها الحبيب الغائب .. إنها تعرف مكانه المفضل .. تحت شجرة الخروب العجوز وظلها الرطيب .. لم تجلس تحتها معه بل لم تأت الى الحقل من قبل .. كانت عروساً لم يرد عبد الرحمن إرهاقها بالفلاحة والعمل في الأرض ... ثم جاءت علامات الحمل فأصبحت هي أيضاً تخشى الخروج إلى الحقل لكنها ستذهب الآن لترى آثار حبيبها وتتدشق عبيره الذي زرعه في الأرض، لتبت حب الأرض في قلب وروح جنينها العزيز بعدما نجا بأعجوبة من بين أيدي الجلادين إذ يتقاذفونها بينهم وهم يجرونها بعيداً عن الدار على جذع شجرة الخروب تقرأ فاطمة العبارة التي ورثتها من عبد الرحمن الذي ورثها بدوره من والديه...

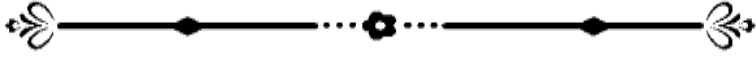
إنه عبد الرحمن ووالديه..

لقد صدقوا عهدهم واتجهوا الى الأرض في رحلتهم الخالدة...

لله درك يا زوجي الحبيب الوفي المخلص..

سأظل فخورة بك كما أنا دائماً وسأنتظرك..

لا تخف على مولودنا سأعلمه حب الأرض وأن الأرض منا ونحن منها وبدونها لا نكون



ناموس

منذ ذلك الحين إنتقل مكان إقامة فاطمة الى الحقل .. حيث أقامت كوخاً صغيراً بجانب شجرة الخروب تعيش فيه يؤنسها حلم المولود القادم يا إنتظار عودة الحبيب..

حبيبها عبد الرحمن .. حبيب الأرض

بشارة

عندما يغيب الناموس تتوقف عجلة الحياة فوق الأرض التي يصيبها الجمود..

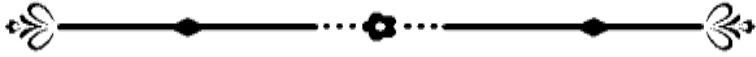
وتثبت الأشياء في أماكنها تأكلها الرياح وتنحتها المياه...
فقط العيون تنظر الى السماء تستطلع الناموس الذي سوف يجيء.

الساحرون في الوطن²

1984 / 12 / 25

أحسا التعب والإرهاق يكبل أقدامهما عن السير وسال العرق بارقاً تحت وهج الشمس حتى وصل إلى فيهما، شعرا بطعمه المالح، أخذتا بالتلمظ ومسح شفاههما بلسانيهما وكانت الابتسامة التي تملأ وجهيهما تزيدهما حبوراً وسلاسة وبراءة . رأيا عتبة بيت قريب أمامهما مرتفعة قليلة عن الأرض لكنها تسمح بأن يمدا أرجلهما أمامهما لإ راحتها من عناء الجري الطويل ومن الكر والفر الذي يمارسانه منذ أيام من خلال المظاهرات والانتفاضات الشعبية والطلائية الشائنة ضد الاحتلال الصهيوني. بعد أن جلسا بدأ بأخذ أنفاس عميقة قوية في محاولة لاستجماع قواهما الفوارة المتحمسة بسرعة ... الشارع أمامهما رملي مزدحم بالقنوات التي تتسلل من خلال فتحات صغيرة من تحت جدران المنازل .. مياهها أسنة تنبعث منها رائحة كريهة .. أرض الشارع تبدوا كخريطة مرسومة بالقنوات تتقاطع والحفر تنتشر بكثرة والحجارة الكبيرة ملقاة هنا وهناك على شكل

² نشرت في صحيفة الفجر الإماراتية في 1984/12/25



تلال صغيرة ... خريطة كاملة لمدينة تفتقد شبكة كاملة لطريق مخلفات
البيوت والمياه

بدا الشارع وكأنه امرأة حبلى جاءها المخاض وقبل أن تلد تقذف
بالقاذورات من جوفها وهذا القذف ليس إلا تظاهرة وانتفاضة تهییء
للولادة القادمة.

ابتسم محمود وقد هدأ وجهه وكف عرقه عن الجريان والتفت إلى
كامل قائلاً: أ رأيت ما حدث اليوم ..؟ قد علمناهم درساً كبيراً .. لقد فروا
أمامنا كالأغنام .. نعم كالأغنام ونحن نجري خلفهم نقذفهم بالحجارة
والطوب وكرات اللهب المطاطية ... سلاحنا الوحيد المتوفر في أيادينا الآن ..
انتبه كامل ورد متحمساً والابتسامة تزهري في عينيه: نعم .. نعم .. كل شيء
كان رائعاً بالذات عندما حاولوا اقتحام المدرسة والفصول علينا .. لم يحسبوا
أن الطلاب جميعهم قد حملوا الحجارة معهم داخل شنتهم المدرسية بدلاً
عن الكتب وخبئوها في أدراج مقاعدهم .. آه .. ما ألد هذه اللحظات
العظيمة وملامح الجبن تكسو وجوههم الفأرية الحقيرة ..

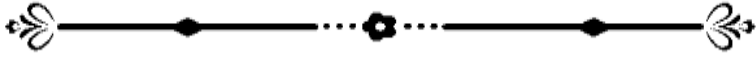
أجاب محمود: آه .. إنهم لم يكملوا رفع هراواتهم حتى انهالت الحجارة
عليهم .. ضربوا بعضهم من الخوف وهم يحاولون التخلص من الفخ الذي
أوقعوا أنفسهم فيه

كامل: هؤلاء الملاعين .. إن ما حصل اليوم ليؤكد لي .. لا .. لا أعرف والله ..
عقلي لا يريد الاقتناع بأن مثل هذا الخوف والهروب والركون إلى الفرار

عند أول مواجهه حقيقية بيننا وبينهم، هم يحملون أسلحتهم وهراواتهم، يحميمهم الحديد وجبروت طغيانهم .. ونحن ليس لنا إلا أيادينا وهذه الحصى وإيماننا العميق بصحة ما نفعل .. هؤلاء .. هؤلاء ؟! يهزموننا ! يهزمون أمةً بكاملها في الحروب العديدة التي أثاروها هم، ونحن أصحاب الحق نمتلك أسباب القتال .. بل كان حرياً بنا نحن أن نبدأ القتال والمعارك

محمود: حتى المعركة الوحيدة التي خضناها ضدهم في رمضان المجيد لم نكملها ولم نواصل .. وتوقفت المعارك عند أول عشرة كيلومترات ..

كامل: لا تذكرني بذلك، إن الألم ليعتصر فؤادي عصراً، يورقني المصير المجهول الذي لم يقدم بعد، أنظر لما حدث اليوم .. نحن الآن نعيش تحت الاحتلال بكل صوره وإرهابه وتخويفه، ونسفه للبيوت وتشريده للعائلات.. هؤلاء الذين يملئون حياتنا صباحاً ومساءً بالذل والكرهية، بالاغتصاب والسرقة .. هؤلاء الذين يستعرضون قوتهم الرهيبة أمامنا نحن وفي مواجهتنا نحن الذين وُضِعنا قسراً تحت خانة الاحتلال البغيض.. هؤلاء يا أخي .. ونحن العزل من كل شيء إلا الإيمان والحجارة، هؤلاء من خوفهم اليوم لم ينتظروا ليأخذوا زميلاً لهم عندما سقط بين أيدينا بل لم يحاولوا استنقاذه ونحن نشبعه ركلاً وضرباً ولم نتركه الا وقد أغمي عليه .. أقول لك شيئاً كان بودي لو قتلناه ذاك الخنزير القذر لكن أحذيتنا المطاطة شفعت له هي واكفنا اللدنة الرحيمة التي لا تمتد بغير الخير والمحبة بالرغم من



قوتها وشدتها في ضرب الظلم والقهر والاستبداد .. ألم تر ..! لقد تركناه يذهب ويلتحق ببقية الخنازير ..

محمود: أردت أن أطعنه بمديتي لكنكم رفضتم ذلك، كنت متشوقاً للانتقام، لماذا لم تدعوني أجهز عليه وأنقله إلى دنيا الجحيم الأبدي .. كامل: لم يكن ممكناً تركك تفعل ذلك في هذا الوضوح .. لو أننا كنا في مكان بعيد وخالٍ لشاركنك جميعاً في ذلك لكن أنسيت ماذا يمكن أن يحرج عليك قتل ذلك الخنزير وعلى عائلتك من انتقام مروع .

محمود: لا يهمني انتقامهم فأنا أناضل وأقاتلهم ولست أعبأ بالنتيجة، فأنا عندما أشترك في مقاومتهم إنما أتقدم واضعاً روعي على كفي فهذا أقل شيء يمكنني تقديمه ثمناً للحرية .

كامل: هذا صحيح يا صاحبي لكن نحن أحوج ما نكون لأن نبني وأن نصون، ستقتل منهم كما تشاء لكن في اللحظة التي نختارها نحن وفي المكان الذي نحدده نحن أيضاً وإلا ما فائدة أن تموت الآن وأنت لم تقدم شيئاً لوطنك، فلتمت لكن بعد أن تهيب الظروف لذلك وبعد أن تقتنع أن موتك سيضيف للوطن لا أن يقتطع شيئاً منه .

محمود: فعلاً .. حق ما تقول، أحتاج لأن أفكر بهدوء وبتعقل، هذا فعلاً ما أحتاج إليه، وما يجب أن نفعله جميعاً، نجلس ونفكر .. نرسم ونضع الخطط، ثم ننفذ في الوقت الملائم، لكن .. أتخسبهم يسكتون على ذلك ؟، لن يتحملوا الفشل، سيحاولون بوسائلهم الخاصة النفاذ إلينا .. و..

كامل: لن يستطيعوا ذلك أبداً، سنقفل الطريق دائماً عليهم، ونصدهم عن المضي فيه، سنثبت لهم أن كل ما يحاولون معنا عبث عبث .. مجرد لا شيء، حتى لو كان الثمن أجسادنا الصغيرة هذه، المملوومة بالغضب وبالاحتقار لما يحدث حولنا من الصمت القاتل والجمود الخانق ..

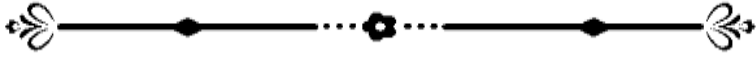
محمد: لو أن رجلاً ... أتعرف .. أفكر أحياناً وأنا أطلع إلى وضعنا هذا بأننا بحاجة إلى رجل كصلاح الدين .. إيه .. رحمه الله كان عارفاً للطريق الحقيقي الموصل للحرية والاستقلال .

كامل: لا تحلم كثيراً، الزمن لا يكرر نفسه - صلاح الدين مضى .. تماماً كعمر بن الخطاب .. هذا فاتح وذاك محرر .. عليك أن تفكر برجل آخر من نوع جديد .. لكن لا يحميد أبداً عن طريق أسلافه .. محمود: ماذا تريد أن تكون نوعية هذا الرجل .

كامل: نوعه .. إننا بحاجة إلى ساحر ..! نعم ساحر حقيقي يستمد قوته من الله، من التفافنا حوله .. يشير إلينا فنهب ويأمرنا فنلبي ونقتحم ..

محمود: ماذا يمكن لساحر أن يفعل وسط بحر من السحرة الأشقياء، يحيطون به من كل اتجاه، يقفلون عليه منافذه إلى الشمس الرحبية والفضاء المتسع .. وإلى الآمال المضيئة في الليالي الحالكة السواد ..

كامل: أنظر.. هذه الحجارة التي نقاومهم بها الآن ستكبر غداً، ستتحول إلى قنابل ومدافع تسلب الأرواح من هياكل أجساد أعدائنا .. هذه الحجارة ستنبث أقداماً تزحف وتتقدم نحو النصر والوطن



محمود: الحجارة !! الحجارة تتحول إلى أسلحة وإلى رجال ماذا تعني بالغازك هذه !!؟

كامل: ليس لغزاً البتة، نحن الذين سنفعل ذلك، نحن السحرة، بتصميمنا وإرادتنا وإيماننا واستمرارنا .. فقط هذه أدوات السحر، كل ساحر له أدواته.. نعم .. وهذه أدواتنا التي ستحول دمعة الحزن إلى زغرودة فرح تنطلق فوق روايينا وسهولنا ومياهنا وفضائنا ..

محمود: تحلل الأشياء بعمق .. لك حق فيما تقول .. لم يبق إلا نحن وأدوات سحرنا التي نملكها .. ننميها يوماً بعد يوم ..

كامل: حقاً ذلك سيطول فالمشوار ممتد وشاق، الدماء فيه ستسيل حتى تغوص فيها الركب وستتكون بحار جديدة هائجة تغرق فيها القوارب المعطوبة التي تسير بلا شراع ودون أمل بأن ثمة ميناء ينتظر رسو المركب عنده !!

محمود: ما حدث اليوم بالذات يؤكد قولك فعلاً بل أن السكوت والجمود الذين يحيطان بنا من كل جانب ليدفعان بنا دفعاً لأن نمارس السحر بكل أنواعه ونبين مهارتنا فيه، وسيرى الجميع مهارتنا وعندها لا يستطيع أن يوقف امتدادنا نحو الشمس والفضاء الشاسع أحد مهما بلغت قوته وجبروته

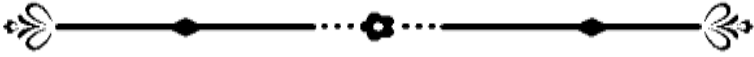
كامل: إن أحداً لا يستطيع إيقافنا، المستقبل لنا .. نعم لنا .. هذا ما أراه ويجول بفكري ..

مر الوقت سريعاً .. لم يدركاه إلا وقد رأيا بعض الأطفال يقبلون
 مسرعين من بداية الشارع الغربية، يحرون دون التفات، من يصل بيته
 يلجه بسرعة مفترقاً عن رفاقه، لم يبق إلا سالم الذي استمر في عدّوه حتى
 وصلهما وكنا ما يزالان يمدان أرجلهما أمامهما من فوق عتبة البيت الذي
 يجلسان عليها.. استغربا ما رأياه في وجهه من سيماء الحذر والترقب
 والقلق..

بادره كامل كي يوقفه: ما بكم تجرون هكذا وما هذه الفورة والسرعة في
 ولوج الأبواب والاختفاء وراءها .. هل القيامة قامت .. ما الذي حدث يا
 سالم قل لنا تكلم ..

وقف سالم أمامهما دون أن تسكن حركته وعلى طريقة محلك سر قال
 لاهثاً: إنهم أصحاب الطواقي الحمر نزلوا المدينة بأعداد مكثفة، لقد اعتقلوا
 الكثيرين من الشباب والأطفال وهم يلحقون كل شاب وطفل يرونه
 ويكيلون لهم الضرب عشوائياً وبين المارين لا يهمهم إن كان امرأة أو
 شيخاً عجوزاً ..

قال سالم: عليكم ترك مكانكما وليتوجه كلاكما إلى بيته حتى تهدأ
 الأمور.. لقد فاض الكيل عليهم ونالهم منا الكثير من الجحيم .. هيا تحركوا
 أنا ذاهب الآن .. لن أبادلكما الحديث .. السلام عليكم . تحركا بسرعة ها
 أنا أحذركما لآخر مرة ..



بعد ابتعاد سالم تبادلا النظرات .. أفكارهما واحدة وهما يجب أن يفعلوا شيئاً فلا يجوز بقائهما ساكنين دونما حركة، عليهما الإقدام والابتعاد فمكانهما قريب جداً وقد يبرز أصحاب الطواقي الحمر عليهما في أية لحظة من أحد الأزقة المنتشرة في الشارع .

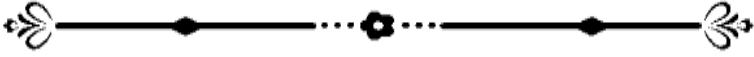
لم يكادا يقفان إذا ثلث من الجنود لابس الطواقي الحمر يبرزون تماماً كما توقعا فجأةً من الزقاق الرفيع الذي يصل بين شارعهما والشارع الآخر الموازي له .. لم يكونوا بعيدين سوى بخطوات قليلة عنهما .. تماسك الشبان بأيديهما وكالعمالقة المردة قفزا قفزة هائلة زادت من الفجوة التي تفصلهما عن الجنود الحاملين الهراوات الثقيلة التي تكفي ضربة واحدة من إحداها لتقتل جملاً لا إنساناً فقط ..

وبدأت المطاردة عنيفة وسريعة .. كامل ومحمود يعرفان الشارع جيداً .. يعرفان منافذه وأزقته .. اقتربا من أحد الأبواب المفتوحة ودخلا بسرعة، دخل الجنود ورائتهما .. لم يجدوهما لكنهم لا حظوا محمود وهو يقفز من فوق الجدار الخلفي إلى الشارع الآخر ولم يضيع الجنود وقتهم .. بسرعة قفروا خلفهم وسيماهم تفشي أنهم لم ينالوا أحداً وإلا ما معنى تشوقهم الدموي للحاق بكامل ومحمود .. نظر كامل إلى جانبه قائلاً لمحمود: علينا الإسراع أكثر، الزقاق القادم يؤدي إلى السوق علينا أن نندس بين الناس، إنها فرصتنا للخلاص من هؤلاء الصهاينة القتلة ..

قبل أن يلج كامل الزقاق المؤدي إلى السوق رأى بعضاً من الجنود الصهاينة يحرون داخله باتجاه الشارع وعلى الفور وبلا تفكير غير اتجاهه إلى خط مستقيم متجاوزاً الزقاق ..

عجب محمود المتأخر قليلاً عن كامل في الجري.. لقد اتفقا أن يتوجها نحو السوق فما بال كامل يحيد ويستمر في عدوه .. لكن لا بأس سيواصل مثله و .. حدث الصدام سريعاً وعنيفاً .. سقط كل واحد في اتجاه مغاير وبعيداً جداً عن صاحبه.. تلقى محمود الصدمة على جانبه الأيسر وكعصفور صغير حط جسده على الجدار الذي أسنده قبل وقوعه . وأما الجندي ذو الطاقة الحمراء الذي يحمل بيده هراوة ضخمة ويتدلى من جانبه مسدس ضخم وسونكي صغير فقد وقع في اتجاه الزقاق الذي خرج منه لحظة اصطدامه بمحمود حيث تلقاه أصحابه فوراً ونظروا إلى محمود الذي أحس بشهوة نظراتهم النارية وبالفرح المجنون البادي على وجوههم المشوهة .. حاول القيام ومواصلة سيره ولم يستطع فقد وقع في الكمين الفظيع.. لقد اجتمعت عليه ثلثي جنود لا ثلة واحدة ولم يمهلوه .. بادروه بهراواتهم ولم تكن إلا أول ضربة حتى خرَّ صريعاً وبالرغم من ذلك لم يتركوه ..

تسمرت قدما كامل وتوقفتا عن الجري فهو لم يعد يسمع أنفاس محمود ولا خطواته، لا جواره ولا خلفه .. ولاحظ خفوت ضوءا المطاردة خلفه، انتابه الشك حتى سمع صرخة محمود فجمد مكانه ونظر مسرعاً



خلفه. يا لهول ما يراه أمر رهيب ذاك ما يجري أمامه .. محمود في حالة يرثى لها والجنود الكلاب يتقاذفونه بينهم وكأنه كرة.. آه .. آه .. الكلاب الكلاب لن أَدعهم يستمرون في تعذيبه سيقتلونه لا.. لا.. لا .. لن أسمح لهم بقتله .. عاد كامل مسرعاً لم ينتبه الجنود إليه .. مديته صارت أسرع من ضحكاتهم المفترسة وضربات قاتلة.. بسرعة انتشر الرعب والذعر بينهم وظهر الهلع في عيونهم .. هرب بعضهم ووقف البعض مشدوهون جامدون من الصدمة .. استطاع كامل القضاء على جرثومتين منهم قبل أن يستجمع أحدهم وعيه لما يجري أمامه وبسرعة أطلق النار باتجاه كامل الذي لم يتوقف بل ظل شامخاً في مواجهته للخوف وفي صموده أمام الموت الذي أصبح قاب قوسين أو أدنى، وواصل كامل هجومه وواصلوا إطلاق الرصاص.. وسقط كامل بجوار محمود وقبل أن يفارق قال له: نعم يا صاحبي كان يجب علينا أن ندعك لتقتلهم، إنهم لا يستحقون أن نصبر عليهم ...

شجرة الجميز³

1989 / 7 / 13

شجرة الجميز وحدها باقية، توافقني، تدعوني إليها، تأخذني بين
أذرعها بجنان ورقة، الوحيدة التي أدركت بؤسي و شقائي ... أدركت آلامي
وهروبي أمام أولئك الفصيلة البشرية
- لولاك يا شجرة الجميز لأصابني الإحباط ... لانتحرت من أمد طويل،
لكن اتحادنا و حبنا الذي أدى إليه ردني عن مقصدي السيئ ... وها أنا
قف قدامك عاشقا أبدياً و مبشراً بالخلاص الآتي

-

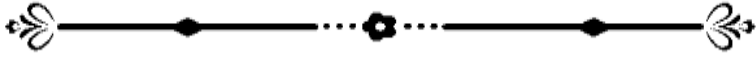
- نعم .. نعم .. أسمعك جيداً .. أنتِ مسرورة .. مسرورة جداً لأجلي .. أنا
أيضا مسرور لأجـلـك

-

- صدقيني، لن أتخلى عنك، سأحارب، سأناضل، لن أسمح لأحد أن يصل
إليك بسمومه، لن أسمح لأحد أن تخترقك نظراته الكريهة .

-

³ نشرت في صحيفة الاتحاد الاماراتية



- و أنت أيضا ستصدين عني الرياح المتوحشة، وتحتويني بأحضانك ...
لكم هي دافئة أنفاسك ... إني لأستسلم لك بسلام و هدوء إذ أكون مطوقا
بين ثناياك المملوءة عمرا و حكمة ... و غناء .

- لكن أخبريني، أنت حتما عاصرت الكثيرين قبلي، ولعلك عاصرت
جدي وأبي، أيكون هذا سبب تحاببنا وارتباطنا .

-

- ماذا تقولين ... الحياة ...، هي التي جمعتنا ليؤنس كل منا صاحبه، لنقتل
و نحن معا الوحدة المقبرة، ونقف بقوة أمام اغتيال اللحظات المنسية بين
هوامش الأيام ... وهوامش الصرخات ... وهوامش الضحكات .

- معك حق أفكارنا متوافقة نحب الغناء و العصافير والأزهار، نحب
العيش بسلام وأمان، بعيدا عن الفوضى، بعيدا عن الزحام

-

- ما دمت تقولين بالتوافق الذي بيننا، فلابد أنك تصدقيني إذ أقول لك
أن الشمس أشرقت اليوم من المغرب .. لا .. لا أعتقد أنك ستصدقيني .. بل
ستقولين ما يقوله الآخرون .. و أنا مجنون .. ستهزئين بي وتضحكين لبلهي
... وغبائي اللامعقول .. أليس كذلك .. تكلمي .. قولي لي رأيك بصدق .. أنا
مصغ إليك .

-

- ما ... ما ... ماذا تقولين أحقا تصدقين .. كيف ... غير معقول ... إن أحداً لم يُردّ حتى الاستماع لي ... فما بالك بأن يصدقني مثلك .. ثم تأتين أنت و تصدقيني بمجرد أن قلت لك أني رأيت الشمس تشرق من مغربها ..

-

- ماذا ... أنت أيضا رأيته اليوم تشرق من المغرب ... يا سبحان الله ... ما هذا التوافق الأكيد بيننا ... يبدو أن التصاقنا معا أقوى من تصورنا الحامل ... ومن انفعالاتنا القلبية .

-

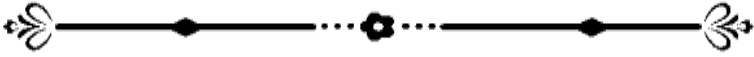
- حقا ... تماما ... تماما ... لكن أخبريني بربك كيف رأيته ... كيف تسنى لك ذلك و قد كنت أعتقد أنني الوحيد القادر على الرؤية ... أخبريني ... أخبريني .

-

- ماذا تقولين ... أحكي لك أنا أولا كيف تسنى لي رؤية الشمس ساعة إشراقها من غير موضعها اليومي ... حسنا ... سأقول ... لكن على وعد بأن تحكي أنت أيضا خبرك كاملا .

-

- إذن ... سأحكي لك ... من أين أبدأ الكلام، إنه أمر صعب ... وقاس ... مقزز ... لكن سأتحمل لأجلك ... كانت ليلة طويلة ... طويلة بطول الدهر ... لم تنقض أبداً عني، و كان مطلوبا مني فيها أن أصمد وأن أواصل النوم ...



وإذا استيقظت .. أن أتقبل بروح رياضية ما يجري أمامي من الأحداث
 الدرامية العريقة في الفجيلة والضياع ... أتصورين أرادوا أن أقف مشلولاً
 وهم يغتصبون مني زهرتي الوحيدة الأثيرة ... اليانعة ... أحبت الزهور جميعاً
 ... لكن زهرتي حفرت مكانها الخاص في قلبي ... غديتها بدمي ... و عشقي
 ... وأرقى ... و خوفي ... غديتها باسمي وعنفواني و قوتي ... لم أستطع العيش
 بدون غيرها بعيداً عن لونها ... غائبا عن ابتسامتها وميلها وضوئها ... لا
 أستطيع العيش دون أن تدمي شفتاي أشواكها دون أن أحتضنها في الصباح
 .. أقبلها .. و أرتشف الرحيق من ثغرها المتفتح الرطب كالجنين الذي لم
 يعرف طعم الهروب والجفاء .

اختاروها من دون الزهرات جميعاً .. وقفوا عندها طويلاً، طأطأت رؤوسهم
 أمامها .. حاولوا مد أياديهم نحوها، و لكنها انتصبت وأنشبت أشواكها في
 أعماق نفوسهم ... ملأت قلوبهم رعباً فانهزموا عائدين .. انهزموا أمامها
 ليدبروا أمراً آخر عندما يحضر ليلهم الأسود المتطاوّل على الضياء المبهرة،
 كرهوا قداستها، وحنقوا عليها، لم ينسوا نظراتها وهي ترنوا الى السماء ..
 كانت تدينهم .. خذلتهم ساقاها المتجذرتان الى أعماق الأرض .. بحثوا حولها
 حتى اكتشفوا سرّها .. لم يُرضهم السلام الذي أَضَفْتُهُ على حياتي، لم
 يسعدهم أن تسعدني أنا دونهم، حاولوا مرةً أخرى استمالتها إليهم، رفضت
 بإصرار وتحد ... هي زهرتي انا ولن تكون لغيري، حاولوا رشوتها بعودهم
 الخاوية بأنهم سيُنصّبونها ملكة على الزهور جميعاً، امتنعت عليهم بقوة

الإيمان والصدق والوفاء .. وهي معي تشعر أنها ملكة .. وهي معي تملك الدنيا بكل ما فيها جميعا .. ليست بحاجة الى لقب أجوف تحمله، قد يكون من أسباب ترديها وموتها، الأمر لن يخلوا من حاقدة أو حاسدة تدبر مؤامرة لتغتالها في ليلة مظلمة

حاولوا معها شتى الوسائل والسبل، مارسوا ما حفظوه من طقوس وسحر أسود، قرأوا ما تسنى لهم من تعاويذهم المحرمة الآبقة ... لم يجدوا إليها سبيلاً .. واتخذوا في نفوسهم المريضة أمراً .. وقرروا الإسراع فيه ..

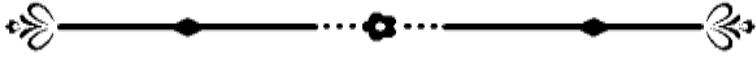
.....

وكان ليلاً طويلاً .. طويلاً .. بطول الدهر كله .. عندما استيقظت لم أجد حبيبتي معي .. لم أجد زهرتي الجميلة .. ولم أجد نفسي .. لم تترك وراءها رسالة .. كل ما تركته بقايا من دمائها ظلت علامات تشير إلى الطريق الذي سلكوه بها .. كانت تدل عليهم .. إنهم قتلة .. إنهم قتلة .. يعبدون المزهريات الحمراء .. يشربون بها الدم الأحمر خمرًا ورذيلة .. حينها لم أر الشمس أبداً في مكانها .. كانت من هناك آتية .. حيث كان يجب أن تغيب ..

- -

- آه دموعي تقلبك .. أعرف ذلك .. سأمسحها الآن .. لكن .. لقد حان دورك لتقصي علي حكايتك وكيف بدأت وكيف كانت النهاية ..

- -



- النهاية لم تأت بعد .. إذن أخبريني البداية .

... ..

- ماذا تقولين .. الوقت لن يسعفك بالكلام .. لماذا .. أخبريني

- أنظر خلفي ..!

- يا الله ما هذا .. إنها جرافة ضخمة .. ما الذي أتى بها إلى هنا .. ماذا تفعل

.. إنها تقتلع الأشجار في طريقها .. إنها في طريقها إلينا .. ماذا يعني ذلك ..

ما.. ماذا .. إنهم يريدونك ..؟ يريدون اقتلاعك بعد طول حياتك بالسنين ..

يريدون اغتيالك كما اغتالوا حبيبتي زهرتي ...

لا.. لا .. لن أسمح لهم .. لن يعملوا سكاكينهم وآلاتهم لتمزيقك يكفي ما

فعلوه بزهرتي سأقاومهم .. أنا في كامل وعي وإدراكي ومستيقظ لكل ما

يجري أمامي ... سأنتقم لك .. سأنتقم لزهرتي .. سأنتشب بك .. لن يستطيعوا

زحزحتي بعيداً عنك .. مجرمون .. مجرمون .. ماذا تفعلون .. ارجعوا أيها

القتلة .. عودوا إلى مخابئكم وحاناتكم .. اذهبوا بعيداً عن هنا، عبّوا

خمركم الدنسة بمفردكم .. لا تشاركونا معكم .. لا نريد شراكتكم ..

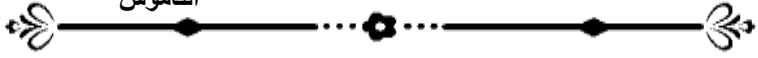
ماذا يجري .. ماذا يحدث ..أذرعها شجرتي العزيزة تتساقط .. لا .. لن

أدعكم تفعلون .. لن أدعكم تقتلون .. لن أدعكم .. لن .. لـ ...

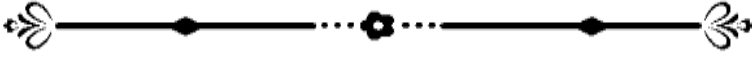
- من هذا المجنون .. صوته يرتفع كثيراً فوق صوت آلتنا .. انتبهوا جيداً .. لا

يجب أن يعلو صوت آخر فوق صوت آلتنا .. هديرنا فقط هو ما يجب أن

يبقى وأن يعلو ويعلو إلى أن تسكت الأصوات جميعاً



- أبعده من هنا .. وجوده يعطلنا ..
- يجب أن نزيل الشجرة من الوجود .. طريقنا يمر من هنا ..
- ماذا أرى .. ألا تقدرّون عليه .. أحيطوا به من جميع الجهات .. اضربوه بعصيكم الحمراء ..
- هيا تحركوا .. تحركوا
- هيا واصلوا .. واصلوا قطع الأشجار ..



السرطان

1981/08/28

بسرعة الرياح الهوجاء امتلأت المدينة بالإشاعات، انكملت الأسر، تجمدت النظرات، الهول قد يداهمهم في أي وقت .. اللحظة أو اللحظة التالية، ليس مهماً متى، لكنها ستحل، النسوة بدأن بالصراخ الصامت الرهيب، خفقات قلوبهن نيران تستعر بين أضلاعهن، كل مرضعة وبحركة كأنها النهاية تحمل رضيعها .. تلقمه ثديها يمتص منه ما بقي فيها من الحليب، قد يكون الرضعة الأخيرة ..

ليرضع الوليد حتى يشبع ..

إنهم يقطعون أثناء النساء الجميلات ...

الأمهات اللواتي يدررن الحليب بوفرة

يشبعن جوع أطفالهن وفلذات أكبادهن وأرواحهن ..

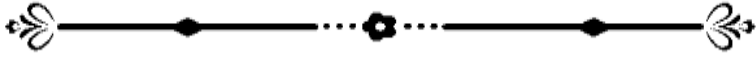
المرض الخبيث ينتشر بسرعة في الأثناء وإذا لم تتم معالجته فوراً فإنه سيستشري إلى باقي الجسد، وحينئذ سيستحيل استئصاله وستحل النهاية المحتومة ... الموت ..

دب الذعر في الأرجاء، وهرولت النساء إلى الطبيب المختص الذي اكتشف انتشار المرض الخبيث، وذلك لأجراء الفحوصات والكشف للتأكد من سلامتهن وخلوهن منه، النساء كثيرات.. والطبيب يشير لإحداهن بالانتظار في غرفة أخرى .. تدخل إليه أخرى .. جميعهن يسمعه من وراء الستار وكأنه يتعمد أن تستمع النساء إليه، يقول لإحداهن إن الأمل ضعيف وحالتها متأخرة فالمرض يأكل ثديها بسرعة ونهم ويجب استئصال ثديها قبل أن يخرج من نطاق السيطرة فتخسر حياتها كلها..

خرجت المرأة من عنده .. أَصْفَرَّ وجهها، باردةً أوصالها، النساء اللواتي لامسن أنفاسها اقشعرت أجسادهن من شدة ما أحسوا به من برودتها وجمودها، وكأن الزلزال يوشك أن يدك الأرض ويقلبها رأساً على عقب، لكن قبل أن تغادرهن المرأة المريضة اصطنعت لشفثيها ابتسامة شاحبة ضيقة وقد التفتت إليهن قائلة: إني ذاهبة الآن، لن أستمع لنصح هذا الطبيب الأحمق، ماذا يبقى مني لو اتبعت قوله، الحياة ستصبح جحيماً لا يطاق .. موتي خير من إقدامي على الانتحار ... لن أقطع ثديي وليفعل الله ما يشاء

....

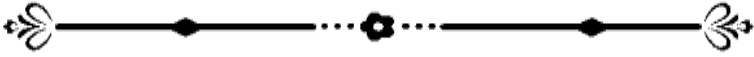
سنة كاملة مرت .. الله وحده يعلم كيف ..؟ .. سنة من الرعب والخوف.. النساء خلاها هجرن فراش الزوجية فهن لا يردن الإنجاب،



أينجن أطفالاً يسوقونهم إلى التهلكة بأنفسهم.. لا حليب في صدورهن فقد جفت الأثداء أو قطعت .. فكيف يشبع أطفالهن وكيف لهن إطعامهم غذاء غير متوفر ولا موجود .. لا .. إنهن لن يتحملن أن يفقدن أولادهن أمام أعينهن.. ولا أن يحرمونهم من دفء وحنان صدورهن ولا من رعايتهن وأمومتهم، هن أمهات وهن يفخرن بذلك .. أيتنازلن عن كل ذلك لا لسبب إلا لخوفهن من انتقال المرض الخبيث إليهن، الطبيب الفطحل أعلن ذلك .. بل وسعى أن تعلم النساء جميعاً بذلك وكأنما يريد أن يخبرهن: لا حمل بعد الآن ولا أطفال .. لا أشبال .. ولا أسود

سنة كاملة مرّت على تلك الحادثة الأولى عندما لاحظت النسوة المنتظرات أمام غرفة الطبيب نفسه .. شاهدن المرأة نفسها التي منذ سنة مضت علت شفيتها ذات يوم ابتسامة صفراء باهتة جامدة .. شاهدنها وقد تحولت الابتسامة المريضة إلى ابتهاج وفرح وإلى ملامح انتصار، الضوء يشع من عينيها والنضارة تملأ وجهها المتدفق بالحياة ... شاهدنها تريد غرفة الطبيب غير مراعية لأصول التهافت والانتظار، علت بعض الأصوات لا .. لا يصح، ولا يجب فعل ذلك، إنك تتجاوزين من وصلن قبلك، وتتغاضين عن دورك في قائمة الانتظار الممل الطويل .. لتوك قد وصلت ... بعضنا منذ الأمس ومنذ الصباح المبكر ينتظرن أملاً أن يأتي ذلك بفائدة..

توقفت قليلاً واتجهت بوجهها إليهن .. التقت عيناها امرأتين كأنها تعرفهما رغم تغير ملامحهما بشكل كبير تجلسان متجاورتين، نظرت إليهما وابتسمت قليلاً وهي تقترب منهما حتى أصبحت قبالتهما تماماً تواجههما وتحس بأنفاسهما المرتعشة وقالت لهما: ألا تذكراني ... نظرا إليها بلا مبالاة وبملل وباستنكار تفحصانها وهما تعجبان من تطفلها عليهما .. فهما لا تذكران مثل هذا الوجه النضر الموفور الصحة والعافية الناضح بالحياة والحبور .. قالت إحدهن: من تكونين ..؟ لا نذكر أننا رأيناك قبلاً، ضحكت بكل خفة ورشاقة وقالت: بل رأيتماني .. حالي كانت كحالتكما وكنت أطيل الانتظار مثلكما آملة الدخول إلى الطبيب المخادع هذا .. الذي في الداخل ..، الطبيب المخادع ..؟! قالت إحدهما: إننا لا نذكرك إطلاقاً، قالت: بل رأيتماني أذكركان ذلك اليوم منذ سنة مضت ..، منذ سنة.. منذ سنة ما حل بنا أنسانا أحداث صباح يومنا هذا .. وتأتين أنت لتقولي .. منذ سنة .. يا لها من نكتة لا تضحك .. قالت المرأة: نعم منذ سنة يومها جلست بينكما أنتما الاثنتين بالذات وتكلمنا كثيراً وارتعشنا أكثر .. كنت أشكو ألماً في صدري جهة ثديي الأيمن ودخلت إلى الطبيب قبلكما ... لقد ملأ قلبي ذعراً وخوفاً، قال إنني سأموت عاجلاً أم آجلاً إذا لم أقم بإجراء عملية استئصال لثديي لأن المرض تمكن منه ولا مجال للعلاج إلا بالبتر، ونصحتني بعدم الإنجاب، لأن الرضاعة كما يدعي هذا الدجال في الداخل، هي سبب المرض! .. وهنا رأت على وجهيهما بريقاً متماثلاً يوحي



بأنهما توصلتا الى شيء، واستمرت: حتماً تذكراني الآن، تذكران وجهي الأصفر الجامد من الخوف وتذكران ابتسامتي الميتة .. أتذكران عندما قلت لكما .. بأنني لن أفعل ما يشير به عليّ هذا الطبيب وليفعل الله ما يشاء .. وحينها قلتما عني مجنونة وتريد أن تخرب بيتها بيديها وإنني أريد قتل نفسي .. انظرا الآن لقد زاد جمالي وزادت نضارتي وحيويتي، وأنتما انظرا ما أصابكما، لقد ولى جمالكما الرائع، وذهلت صحتكما، ولا بد أن حياتكما أصبحت جحيماً لا يطاق تعيشونه..

قالت إحداهن: نعم .. نعم أتذكرك جيداً، لكنك الآن غيرك بالأمس، ماذا حدث معك، وماذا جرى لك، بعد خروجك من عند الطبيب، كيف تغلبت على المرض الخبيث..

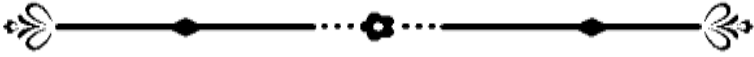
قالت: المرض الخبيث ها .. ها .. ها .. إنكما تضحكانني .. أي مرض خبيث هذا الذي تتحدثان عنه!..

قالت الأخرى: المرض الذي شخصه لك الطبيب ..؟

قالت: هذا الطبيب .. هو كاذب فاسق .. لم أكن ما أشكو منه مرضاً خبيثاً، كما حاول إيهامي، وكما أوهم الكثيرات غيري .. كما علمت بما فعله معهن، اليوم جئت خصيصاً لأكشفه أمامكن وأمام النساء جميعاً وأمام البلد كلها، التي أضحت ضحية طيعة مقهورة ساكتة، لا تبدي مقاومة ولا حراكاً، ولا تفكر إلا بالسؤال المطروح على الجميع .. متى سيتم استئصال آخر ثدي لآخر امرأة خصبة

قاعة الانتظار مزدحمة بالنساء .. اللواتي جذبهن الحديث بين النسوة الثلاث، وأثار فضولهن ما سمعنه من حديثهن، في مواصلة التصنت لمعرفة حقيقة ما جرى .. وأعربن جميعهن لتلك القادمة عن شوقهن لتكمل حديثها المخيف، الذي إن صح فهو يعني الكثير .. الكثير ..

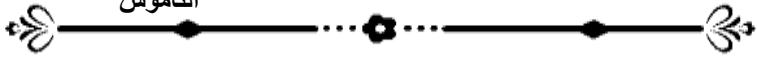
ولما عادت المرأة للكلام هدأت النساء جميعاً يحاولن استيعاب ما يسمعنه.. قالت: الله يشهد أن ما أقوله صحيح، وأن الذي بالداخل ما هو إلا كاذب جاهل، يروم في نفسه هدفاً واحداً .. ألاّ تحمل النساء في بلدنا وألاّ تلد، يريد أن يقطع النسل ويمنع الحرث ... أتعرفن مما كنت أشكو .. سأخبركن .. لقد انصرفت من هنا مباشرة إلى الدار .. لا داعي لأن أصف لكنّ حالتي .. ولكن ثديي أخذ يتضخم ويتضخم والألم يزداد ويزداد، حاول زوجي إقناعي بإجراء عملية استئصال للثدي، ورفضت باستمرار، الموت أهون عليّ من هذا الفعل، واستمر ذلك وقتاً طويلاً نلت فيه ما نلت من المعاناة والألم والخوف، ومن الكوابيس التي كانت تحاصرني.. تخنقني، ومن الأوهام والأشباح التي ظلت تطاردني .. تدفعني إلى حافة الانهيار والموت، ومع كل ذلك.. صمدت نعم صمدت لقد وكلت وجهي إلى الله ودعوته من صميم قلبي، أن يخلصني مما أنا فيه، من أجل أطفالي وزوجي الذين أحبهم ويحبونني .. وقد كان فقد استجاب الله لدعائي المخلص، وبعث إليّ ملاك الإنقاذ، الذي تمثل في صورة بشر، كان صديقاً لأخي الذي يعمل في إحدى



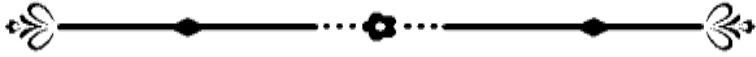
دول الخليج، كان قادما من عنده، يحمل الهدايا من أخي، ولما رأيته، وكنت لا أستطيع القيام من السرير إلا بصعوبة بالغة وبمساعدة من زوجي وأولادي، ولحظي، كان طبيباً أخصائياً في الجراحة، فلم يترك الوقت يمضي إلا وقد شمر عن ساعده وبدأ فحصه الدقيق الشامل .. وحكى له الحكاية .. حكاية المرض وحكاية الطبيب الذي اكتشف المرض .. ورفض التشخيص المزعوم ... وهكذا وعلى مدي شهرين كاملين قضاها صديق أخي في البلدة بذل خلالها كل جهده للقضاء على مرضي .. أتعرفون ماذا كان..؟ اشأبت الأعناق نحوها وتدفقت النظرات تتلف أن تعرف الحقيقة قالت: كان وهماً ما أحمله، لم يكن مرضاً خبيثاً، كان تورماً صديدياً داخلياً، لم ننتبه إليه بسبب ما حاك في صدورنا من إشاعات المرض الخبيث.. كان دُملاً تم القضاء عليه بالجراحة وبالأدوية .. نعم كان وهماً وقد انتهى، وقد قام الطبيب صديق أخي، ملاك الرحمة والإنقاذ، بعيادة بعض حالات النسوة اللاتي أعرفهن وتعرضن لما تعرضت له من وهم المرض الخبيث، بإيجاء من هذا الطبيب المدعي الكاذب، والحمد لله كن جميعاً لا يحملن ولا يعانين إلا من الوهم والخوف، وقد شفينا جميعهن ..

نظرت النسوة إليها معجبات بما تملكه من ثقة بالنفس، ومن قوة الكلام والحجة ولكن واحدة منهن .. سألت: ما دام الأمر هكذا ..

لَمْ تَحْضُرِي سَوَى الْيَوْمِ ..!



لم انتظرت ..!
 وأنت تقولين أنك تخلصت من المرض خلال شهرين فقط
 لم تركتنا نعاني لحظات الانتظار المرعبة التي نعيشها..
 بلا رحمة وبدون أمل ..!
 قالت المرأة: معك حق .. لكن لم يمنني عن ذلك إلا ضعفي وخوار قوتي..
 كنت أشد هزلاً من أضعف واحدة منكن
 احتجت إلى شهور عديدة كي أستعيد عافيتي وقوتي لأواصل حياتي
 حضوري إلى هنا كان دائماً في خاطري..
 أحياناً اعتراني الخوف من القدوم والمكاشفة..
 اليوم تغلبت على كل شيء .. وقررت التحرك ..
 فما يجري عبارة عن مذبحة مدبرة ..
 لا يجب أبداً السكوت أمامها ..
 بل يجب الوقوف في مواجهتها وصدّها ..
 حماية لحياتنا وعائلاتنا ومجتمعنا ..
 قررت المجيء لأكشف هذا المزيّف القاتل
 سأناضل من أجل كشف الحقيقة أمامكن وأمام الناس جميعاً
 لن أسكت ولا يجب أن تسكتن ..
 علينا أن نتحد لنقاوم هذا الكاذب الدخيل ..



علينا أن نضع أيادينا مع بعضها لنعيد البسمة إلى أطفالنا ودورنا وشوارعنا
وبلدنا ...

سأتحرك الآن ..

لا يجب الانتظار فقد تولي اللحظة وتفر

وقد يهرب الوباء الحقيقي قبل وصولنا إليه..

نظرت النسوة إليها وهي تسير بثقة واطمئنان، متجهة نحو باب
غرفة الطبيب المدعي الطبابة .. المداوية المحتال، الذي ابتز من النساء
الحياة والجمال، وهن لا يعرفن لماذا يفعل ذلك ..؟

قالت واحدة: لا يريدون لنا أن نلد ولا أن نرضع أطفالنا، يريدون القضاء
علينا وإفنائنا ليحوزوا هم على كل شيء

قالت أخرى: المرض الخبيث ليس في أبداننا إنه هذا الطبيب الخبيث
مستأصل الخير فينا،

قالت أخرى: إن أحداً لا يعرف من أين جاء، إنه غريب وكنا أغبياء عندما
استسلمنا له وصدقنا إنه نطاسي في علمه وطباطه ..

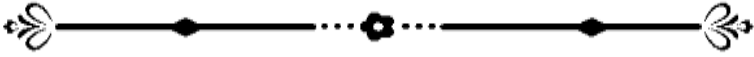
اختلفت الأصوات .. بعض النسوة لم يصدقن ما سمعن وأخريات
مصدقات، وبين مكذبة ومصدقة ازداد لغط النساء وازدادت الجلبة

وقالت واحدة: لا بد أنها صادقة .. حالتها تنبئ بذلك، قالت أخرى: ونحن
لم نعرف المرض إلا بعد وصول هذا الطبيب إلى البلد، فأين كان المرض قبل
مجيئه إلينا ..؟

قالت أخرى: معها حق لم نعرف المرض إلا مع هذا الطبيب .. لا بد أنه من صناعته هو ..

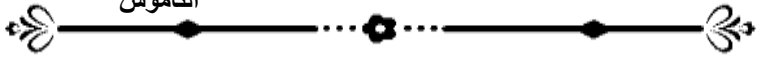
قالت أخرى: ولماذا الآن فقط ظهر المرض .. هو نصاب ومخادع .. واشتدت حدة الكلام...

والطبيب في الداخل، يراقب منذ البداية ما يجري في صالة الانتظار... عرف أنها اللحظة التي تخوف دائماً من حضورها .. لحظة انكشافه ... يمكنه الخروج إلى النساء وإقناعهن بكذب المرأة لكنه لن يستطيع اقتلاع الشك الذي انزرع في صدور الجميع .. فالكل سيبدأ في مراقبته ومتابعة تصرفاته .. ولن يستطيع مواصلة عمله ولن يستطيع تحقيق هدفه الأخير .. الذي حضر خصيصاً من أجل تحقيقه ... ولو خرج الآن سيدمرنه.. يقتلنه بلا أدنى شك .. إنه يعرف ماذا عليه أن يفعل الآن .. عليه التغلب على الخوف الذي بدأ يحتاجه بقوة وعنف .. وهو يعلم قسوة اللحظات القادمة .. لكن لا مفر أمامه من الخروج ليأمن على نفسه .. مساعده الممرض شعر بالخطر .. ولأنه ليس مطلوباً من النساء .. استطاع المرور من بينهن بسلام .. وفرّ هارباً من الساحة .. ساحة الإعدام .. يا للهول ساحة الإعدام أيمن أن تكون هذه الغرفة هي غرفة إعدامه .. لا .. عليه التصرف وبسرعة .. لا يستطيع المكث طويلاً خلف الباب الموصل .. قد تقوم النساء بتحطيمه .. وهن يستطعن ذلك لو أردن وحاولن .. ضجة النساء تزداد والظاهر أنهن يتجمعن استعداداً لاقتحام الغرفة ..

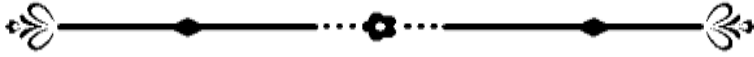


نظر إلى الهاتف .. إنه فرصته الوحيدة بل والأخيرة لإنقاذ نفسه .. لم يضع الوقت وأدار الرقم الذي يحفظه لمثل هذه اللحظة المؤلمة آلو .. نعم .. النساء يتجمعن في العيادة .. يحاصرني .. يردن الفتك بي، أرجوك أسرع بإنقاذي .. يبدو أنهم اكتشفن حقيقتي وحقيقة المرض ... امرأة جاءت وكشفت أمامهن كل شيء وبالأدلة .. أرجوك أسرع .. الوقت يمر وإذا تأخرتم سأعترف لهن بكل شيء .. حسناً ستأتون .. ستأتون .. اعرف أنك لن تخذلني يا سيدي شكرا .. شكرا ..

آه ... الحمد لله سيأتي ومعه الرجال .. سيحميني من هؤلاء النسوة الشرسات، كل شيء سيكون أفضل بعد ثوان ... لقد مرت دقيقتان .. لم يحضر أحد ..؟ قد ينفذ صبر النساء ويكسرن الباب .. خمس دقائق مرت ... مقبض الباب يتحرك .. جيداً أنه مقفل، وجيداً أنني وضعت المكتب وراء الباب، سيصبح من الصعب عليهن أن يفتحنه ... اللعنة .. لقد فر الممرض وتركني وحيداً رفض البقاء بجاني ... عشر دقائق مرت .. ما هذا..؟ لا بد أن شيئاً حدث وسبب تأخرهم .. لا يمكن لسيدي أن يتركني بمفردي لأواجه المصير القاتل .. هو يعلم خدماتي الإنسانية الكبيرة التي قدمتها وما زلت ... يزداد لغط النساء والضجة تعلو .. و.. آه .. أخيراً طرقات على الباب .. يصرخ: من .. من بالباب .. لن أفتح حتى أعلم الطارق .. يصله صوت يعرفه جيداً .. لا تخف افتح الباب إنه أنا .. آه .. الحمد لله لقد وصلت أخيراً كادت النساء أن يفتكن بي .. أزال المكتب بعيداً عن الباب ..



أدار المفتاح .. ولم يكذب يفعل .. إذا بالباب قد انفتح والنساء يهاجمنه .. نظر
مذعوراً متراجعاً إلى الخلف .. أين صاحبه لقد كان هنا .. إنه يعرفه .. أين
اختفى .. أيكون قد... أنا أسمع صوته .. هذا رجلكم .. عليكن به .. ما..
ما.. لم يستطع التفكير فالنساء يتعجلن القضاء عليه....



المختار

6/3/1981

شوف يا مختار إذا بدك صحيح ابنك محمود يرجع للبلد ويشغل
هنا، انصحك تعزم الحاكم (الإسرائيلي) وما راح يتأخر عنك بطلب، بس
اعزمه واسمع كلامي..

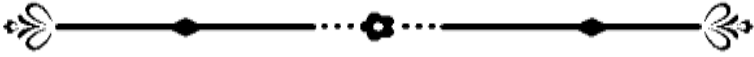
ينظر المختار إسماعيل الى حمزه وعيناه تفرزان معان كثيره تخفى
بداخلها الشك والاحتقار للواقف امامه .. حمزه .. الأفاق الكبير الذى يدعى
صداقته وهو فى الحقيقة لا يسعى الا وراء مصالحه الأنانية فما هو الا ذيل
للصهاينة الأوغاد ينفذ أوامرهم حرفياً، لا يدخر وسعاً ولا جهداً إلا بَذْلَهُ
لإرضائهم.

المدينة كلها تعرف دوره القدر الذى يمارسه فى ترحيل الناس واغرائهم
بالمال تارةً وبالوعود الزائفة تارةً أخرى لإخراجهم من فلسطين كلها
ليضافوا الى سكان آلاف الخيام فى معسكرات المشردين عن وطنهم بغير
وجه حق، وإن لم تفلح وعوده وإغراءاته فى إخراجهم استخدم التحذير
والإرهاب لفرض ما يريده العدو منه من تفريغ للوطن من سكانه الذين
أصبحوا يحسبون ألف حسابٍ وحسابٍ لتهديدات حمزه، فهو لم يكن

ليتورع عن تقديم الوشايات الكاذبة حول من يرفض تنفيذ طلباته فيحشرون في الزنازين والمعتقلات التي زينها (الإسرائيليون) بأحقر أساليب وطرق التعذيب الغاية في الدموية والوحشية

يحاول حمزة ممارسة دوره على المختار اسماعيل الذي لم يدعه يهنأ بلذة الإثم الذي يكتسبه كل يوم، فالمختار اسماعيل ليس أي شخص و هو ليس من الضعف حتى يرضخ لأقوال هذا الخائن ... صحيح ظرفه حرج و هو بحاجة الى المعونة ولكنه لن يقبل الا المعونة الشريفة

ان حمزة و اسياده يرون فرصتهم مواتية الآن للتأثير عليه يريدون منه ان يدور معهم في فلكهم المثقوب الغارق في أعماق الوحل الأسود، .. لا .. لن يقبل أن تلطخ وجهه ذرة وحل مهما كانت دواعي الحاجة. منذ اليوم الذي فتح فيه المجال لتقديم طلبات ما يسمى بجمع شمل العائلات و المختار إسماعيل يحاول الحصول على الموافقة لجمع شمل ولده الطبيب محمود، المشهور في إحدى الدول العربية، إنه ما يزال يذكر أول مرة تقدم فيها للحاكم العسكري بطلب جمع شمل ابنه محمود .. لقد ابتسم الحاكم حينها وابتهج ووعدته خيراً بل وأكد له أن محمود سيأتي وهو نفسه سيتابع اجراءات الموافقة علي جمع شمله .. آه .. كم كان غبيا المختار إذ استبشر من ردّ الحاكم .. لم يكن يدري أن الحاكم وجد فيها فرصته الكبيرة التي كان ينتظرها منذ زمن طويل فهو من ضمن العدد القليل من وجهاء المدينة الذين لم يوجهوا دعوةً الى الحاكم للغداء في دورهم .. لقد



حفظها الحاكم لهم لأنه يعتقد انه عليهم أن يجذو حذو الآخرين الذين وجهوا الدعوة اليه .. المختار اسماعيل لا يشك بشرف ووطنيه زملائه وهو أيضا لا يقيّمهم .. كل شخص له الحق باتباع الاسلوب الذي يراه الافضل لتسوية الامور .. وللمختار اسماعيل تاريخ وطني حافل وهو أبدأً لن يغير أسلوبه مع أعداء بلده مهما كانت نتائج موقفه الذي يتمسك به حتى الموت.

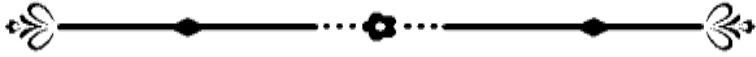
لم يكن المختار اسماعيل بالشخصية السهلة، ولم يكن بالمتنع ينظر له الانسان فيراه جبلاً شامخاً بهامته السحاب، عيونه تشع منها أصالة الشمس عندما تنعكس على وجه القمر الذي يبدد ظلمات الليل الحالك الارضي .. حتى جسمه الممتلئ قليلا وقوته وحسمه السريع للمناقشات وهيمنته عليها اهله جميعها لأن يتبوأ مكانته المعززة بين افراد عائلته الكبيرة، والمدينة بأسرها أصبحت تحترمه وتجلّه لمواقفه الانسانية والوطنية. عندما يدعو الحاكم (الإسرائيلي) مخاتير المدينة بدعوى التباحث معهم في شؤون المدينة فإنه يقوم بمحاولات جلّها فاشله للتأثير عليهم لإرضاخهم للعيش بسلام مع احتلالهم البغيض الغاشم.. والمختار اسماعيل واحد من اولئك الذين كشفوا اساليب العدو في استدراجهم للتعاون معهم فباتوا حريصين وتجنبوا عمل ما يطلب منهم الا ما يرونه لا يمس مصلحة الأهالي ومصلحة المدينة وبما لا يتعارض مع كرامتهم ووطنيتهم.

وعندما يسألهم لماذا لم ينفذوا جميع تعليماته يجيبه المختار اسماعيل بأنهم يبذلون كل جهودهم لعمل ما يقدرون عليه .. الحاكم لا يصدقهم بالطبع فكل السوابق تؤكد عكس قوله فالمختار اسماعيل مثلاً كان الوحيد الذى لم يقدم ولو قطعة سلاح واحدة من السلاح الموجود مع الأهالي وتسليمها لجنود الاحتلال الذين يبدون رضائهم عن ذلك ويعتبرونها بادرة حسن نية للعيش بسلام مع الاحتلال والوضع القائم الناتج عنه.

وتم سابقة ثانيه عندما طالبوا المخاتير بتسليم أختامهم العربية للسلطات العسكرية بهدف تغييرها وتسليمهم بدلاً عنها اختاماً مكتوبة بالعبرية تؤكد تبعيتهم واستكانتهم امام الاحتلال وفى حينها ادعى المختار اسماعيل فقدان ختمه فهو يرفض تصور تغيير ختمه العربي بآخر عبري لأن ذلك يكون بمثابة اقرار بل صك اعتراف وموافقه على احتلالهم غير الشرعي للبلد.

تدور الأفكار فى رأس المختار اسماعيل وهو ينظر الى حمزه المنتظر جوابه الذى تأخر ولم يفق المختار من أفكاره الا على صوت حمزه وهو يقول له: إيش يا مختار إيش قلت بالموضوع والله بأنصحك تعمل ما قلته لك، وستلاقى مصلحتك كلها فيه..

المختار لا يسعه الا أن يتكلم حتى يوقفه عن الاستمرار بهراء كلامه الأجوف: شوف يا حمزه الموضوع هادا انت بتعرف انا أرفضه ولا يمكن



أتنازل عن مبدئي وكرامتي ولو علشان ابني ... الموضوع هادا كبير وبدو
تفكير سييها للظروف..

يرد حمزه .. ظروف إيش ومكاتيب إيش يا مختار الي بتتكلم عنها ..
العملية واضحة زي الشمس اعزم الحاكم في دارك بكرة .. وبعد بكرة
ابنك بكون في البلد

ينظر المختار الى حمزه يملأه إحساس قوي بأن يهوي بيده على رأس حمزه
فيهشمه ويخزيه فلا يعود ينخر كالسوس في جسد المدينة التي تنتظر يوم
الخلاص من حمزه وأسياده بفارغ الصبر، لكنه يستغفر الله ويتمسك
بالصبر: هادا الظهر أذن أما أروح الجامع أصليه حاضر .. السلام عليكم..
ما تيجي تصلي معانا .. يقول حمزه: أنا .. أنا .. لا..لا.. معيش وضو هالوقت..
بأشوفك الليلة في الديوان وللا أقولك بكرة بآجي على الديوان علشان بالمرة
أعرف رأيك النهائي بالموضوع ..

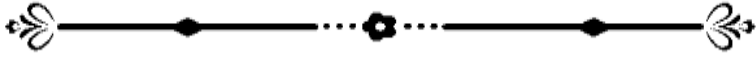
يستحوذ محمود على فكر والده المختار اسماعيل فَلَكَمْ يتمنى المختار أن
يحضر محمود ويعيش معه ومع اخوانه ودائما يحدث المختار نفسه .. ياما
نفسى أشوف ولادي كلهم وولادهم حوائى ..والله كبرت يا حاج اسماعيل
والزمن بييجري، الأولاد صاروا رجال، وكل رجّال صار له عيله ودار .. آه الا
انت يا محمود، الله يسامحك يا ابني يا حبيبي .. ترجع لبلدك وأبوك بالسلامة..
والله مختار إيش اعمل، أعزم الحاكم في داري .. هادا إشي مستحيل أنا
عارف غرضهم من كده، انا لو عزمت الحاكم وأعوانه عندي راح أفقد

ثقة الناس والبلد كلها فيّه .. وهادا الي بدهم اياه .. ان أسقط من قلوب
وعيون الناس فلا أجد الا الصهاينة قدامي يزيفون مودتهم ويمدونها حتى
أسقط نهائيا .. ماذا سيقول الناس عني .. أول شيء يقولونه المختار باع بلده
وباع دينه، يا جماعه، وأنا لا يمكن أبدا أبيع بلدي ولا يمكن افترط
بمليمتر واحد من تراب بلدي .. أنا من غير الناس ومن غير ثقّتهم ومحبّتهم
لا أساوي الا ثمن الهدوم التي ألبسها .. لا .. لا .. لن أتنازل ولو بطلوع
الروح .. بس محمود ايش ذنبه يعيش مشرد بعيد عن أهله وعن بلده .. في
جواباته دائما بحكيلى عن غربته القاتلة و العيشة الصعبة دائما يقول يابا
نفسى أنام على الأرض هناك في الحكورة تحت شجرة اللوز القبلية ونفسى
أقعد في الخص الصغير جنب الصبرّ ناكل فته العجّر المليانه فلفل وزيت
زيتون آه ما أحلى هاديك الأيام متى تعود يابا ونتجمع تاني.

تذرف عينا المختار دموعاً غزيره كأنها هطول سحب ثقیل
اجتاحته عاصفة قويه فأسقطته مرة واحدة .. عند هذا الحد لا يستطيع
المختار أن يستمر في تأملاته وشوارده.

بعد أن ينتهي المصلون من أداء الصلاة يبدؤون بالخروج لمعاودة أعمالهم أو
للعودة إلى دورهم.

الشمس تميل قليلا عن خطها العمودي على الأرض متجهة قليلا
إلى الغرب مخلّفة ظلاً دقيقاً يسير تحته الحاج اسماعيل الذي تقوده خطواته



إلى داره حيث تفتح الباب له زوجته وشريكة عمره الطويل الحبيبة
الحاجه أم أحمد.

الحاج اسماعيل: السلام عليك يا أم أحمد
أم أحمد: وعليك السلام يا حاج، باشوف طولت اليوم عن الرجوع ان شاء
الله بفائدة .. بشّر يا حاج بشّر.

ينظر الحاج اسماعيل إليها .. انه يرأف بحالها ومما قد يصيبها من الهمّ
والحزن ككل مرة عندما يخبرها برفض طلبه .. صحتها لا تتحمل الكثير،
انها طيبة جداً وحنونة جداً، ليت هذا العالم الأسود يحمل بعض طيبتها
وبعض شفافية روحها الفاضله، اذاً لعَرَفَ العالمُ معنى السعادة الحقيقية، إذ
يمارس أفرادُه انسانيّتهم الفطرية الخيّرة .. لن أخبرها الآن .. فيما بعد.

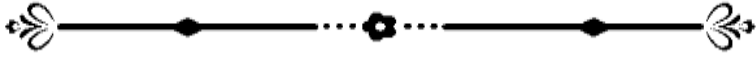
إيّه يا حجة إنشاء الله بصير خير بالموضوع .. بدها صبر
أم أحمد: الظاهر مثل كل مرة .. على فاشوش ما في فائدة.
الحاج اسماعيل: بالله تتركي الحكي فيه، واذا الأكل جاهز هاتي ناكل لقمة
ونرتاحلنا شويّه على قرب العصر.

تذهب أم أحمد لتعد الطعام وقد اسودّت الدنيا أمام عينيها ويلاحظ
الحاج ذلك فينادي عليها .. يا حجه بالله تبغي لأحمد ومحمد وعبدالله
خليهم ييجو الليلة للدار بدي أشوفهم وأتكلم معاهم.

أم أحمد: طيب يا حاج بعد ما تنام أنا بأبعت الصبي يخبرهم أنك عايزهم الليلة، افشاء الله خير ايش فيه.
الحاج اسماعيل: الليلة راح تعرفي لما الأولاد ييجو .. يا الله بسم الله الرحيم..

....

بعد صلاة العشاء بدأ أبناء الحاج اسماعيل في الوصول الي دار أبيهم .. دورهم تحيط بدار أبيهم وأمهم .. حقيقة كل واحد استقل بيته واهله لكنهم جميعا يلتفون حول والدهم لا يشعرونه ابا انهم بعيدون عنه بل هم دائما معه طوع بنانه ويفعلون ما يشاء والدهم.
كان أول القادمين أحمد الابن الأكبر ومن بعده توافدا عليه محمد وعبدالله، بعد أن يجلس الجميع يبدأون بالنظر حوالهم عساهم يكتشفون شيئا لكن نظراتهم لا توصلهم لشيء فوالدهم لم يعد بعد من الخارج وكان مفروضا وجوده فهو الذي أرسل ورائهم يريداهم، ولا يجدون بدأ من التحادث مع بعضهم ريثما يعود والدهم
عبدالله: إيش يمّه يا حبيبته هو ليش أبونا بعث لنا نيجي الليلة.
أم أحمد: ما يعرف .. لما ييجي بتسألوه
أحمد: سمعت انكما نزلتما الى القدس اليوم، هل مررتما على الأقصى ؟



محمد: ولو يا أبو اسماعيل هيه هادي بتفوتنا، معقول نصل القدس ومنصليش في الأقصى، طيب الود ودنا نعيش هناك دايمًا .. في الدنيا كلها ما في أحسن ولا أطيّب من هالمكان.

أحمد: الله يجازي الاحتلال واليوم الي شفناه فيه، ربنا يخلصنا منه وتصير بلادنا بلد واحدة، هالوقت ابوكم بيبي وتعرفوا كل حاجه منه .. اصبروا شويه

محمد: ربنا كريم يا ابو اسماعيل، اليوم قرب واحنا اليوم فاهمين الصهاينة وراح ندبرهم.

(طرقات خفيفه على الباب)

أحمد: أبويا .. لما أقوم أفتح الباب ... ياهلا ياهلا يا بابا وين كنت كل هالوقت الحاج اسماعيل: في الديوان .. المهم اني جيت، كيف حالكم انتم، بشوفكو كبرتو وأبوكو ما صار يشوفكو الا اذا بعث الكم مرسال عبدالله: العفو يا بابا ايش الكلام الي تقوله هو انت أبونا بس انت كل حاجه في حياتنا، ولا ممكن أبدا نسيبك في لحظه.

الحاج اسماعيل: آه منك ابلفنا بلسانك انت، اقعدوا قدامي قريب مني .. وانت يا أم أحمد .. تشوفيلنا لقمة نتعشى .

محمد: خير يا بابا ايش فيه.

الحاج اسماعيل: خير.. خير.. موضوع محمود وجمع شمله.

أحمد: وافق الحاكم....

عبدالله: يوافق، هو معقول .. لازم في كل مره يسدها في وجه ابويا.
 محمد: ايه والله همه بينسوا ان المختار اسماعيل الوحيد الي قاللهم في وجههم انه بيكرهم وانه ما بيتصور في يوم يتعاون معاها، طيب الود ودهم يشيلوه من المخترة ويحطوا واحد غيره يسايسهم ويسمع كلامهم بس مش قادرين، لان المختار اسماعيل مركزه كبير في عيلته وفي البلد كلها، ولو غيره، لعبتهم بتتكشف
 الحاج اسماعيل: بلاش حكي كثير ..اني رحت للحاكم ورفض طلبي زي كل مره.

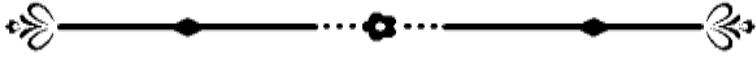
عبدالله: شفتوا زي ما قلت تمام .. مش معقول الحاكم يوافق.

الحاج اسماعيل: وبعدين معاك، اسكت اني واتكلم انت...

أحمد: المهم ايش صار ...

الحاج اسماعيل: قبل ما اطلع من عنده لَمَح لي انه يتمنى يزورني في الدار وانتوا عارفين الحاكم من زمان بدوياني اعزمه عندي لكن انا رافض ولا يمكن اعزمه، ومهما كان السبب.

أم أحمد: والله ..والله لو اعزمتها ما بقعد لك بدار بعد العمر هادا بدك مني استقبل بداري عدونا الي قتل اقرب الناس لنا . - صالح ابن اخوك _..
 بلاش صالح .. الشباب والاطفال الصغار الي صفوهم على الحيطان وطخوهم



في الستة وخمسين وفي السبعة وستين ..عدونا الي احتل الارض وسرق
الخير والي كل يوم يضيق علينا المعيشة ..والي عماله يحبس اولادنا
الصغير قبل الكبير، والله لو باموت ما بقدم لو كباية ميه لواحد كلب منهم.
الحاج اسماعيل: يا حجة اهدي والله كلامك في قلبي وراسي ولا يمكن
انساه في حياتي .. هو أنا ولد صغير علشان يضحكوا عليه .. خلونا في
موضوعنا انا طبعاً هزيت راسي وروحت.. بعد شويه لقيت حمزة ..انتوا
عارفينه والله ما محب اجيب اسمه على لساني ها الكلب الي ما في البلد واحد
على بعضه بيحبه، البلد كلها شائلة منه وبتستنى اليوم الي تنتقم فيه من
هالخابين .. كل اعماله ما بتنعمل .. الصهاينة بحالمهم ماعملوا عمايله ... هيه
الواليوم.

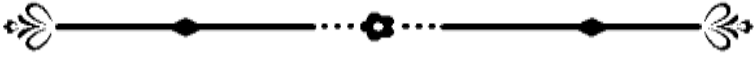
محمد: ايش قلك حمزه هادا .كل حاجه بدخل راسه فيها واي حاجه بسمعها
او ييشوفها على طول يروح يبلغها للصهاينة.
عبدالله: طيب الحاكم كان سهران عنده هو واثنين صهاينة معاة .. بتهيألي
حمزة هادا مش راجل ما بستحي ابدأ بخلي مرته تكشف عليهم وتقعد
معهم هي وبناته الثلاثة.

احمد: هو من ها الوقت، ما هو من زمان كده، من ايام الانجليز وهو بها
الحال المايل.

عبدالله: مش وطنه الي باعه بس .. لا .. كرامته وشرفه كمان . عمري ما شفت حدا يذل نفسه بها الشكل المزري، قول يابا قول فرجنا وسمعنا على الناس هادي الي ما بدھا غير الرجم والدفن بالحيا
 الحاج اسماعيل :لا..اتكلم ليش ..ما انتم قاعدين بتتكلمو وفوا كلامكم
 عبدالله: ولا تزعل يابا هادي راسك ابوسها ... آخر مره نقاطع كلامك.
 الحاج اسماعيل: آخر مره..
 عبدالله: آخر مره احلفلك آخر مره..

الحاج اسماعيل: قال ايش حمزة جاي ينصحني، ونصيحة لمصلحتي، أعزم الحاكم (الاسرائيلي) في الدار وهو راح يوافق على طول على جمع شمل محمود وعياله كلهم ومش هيك بس، كمان يعينه مدير للمستشفى الكبير وأنا يا أولاد مختار أنا كبرت وعملي محسوب عليّ، وبتعرفوا موقفي وما بعمل عمل الا اذا كان ضميري راضي عنه، لكن موضوع محمود بيهمكم برضه وبيهم أم أحمد، فأيش قولكم وايش العمل .. وخلوا بالكم اذا عشت اليوم ما بعيش بكرة، ولو جمع الشمل ما صار في حياتي، محمود عمره ما راح يرجع واليهود بالبلد، أنا عارف الصهاينة .. ملاعين بفكروا بكل شيء وأنا لا يمكن أسلم أبدا، بس بدي أعرف رأيكم الآن لأنهي الموضوع يا هيك.. يا هيك..

أحمد: ايش الي بتقوله يابا انت لا يمكن تسلم ولا عاش الي يدوسلك على طرف .. صحيح بيحز بنفوسنا ان محمود ما يرجع وما يعيش بيناتنا، انت لو



وافقت على كلام حمزة راح يمسكها ذلة النا كلنا في حياتك وربنا يديك
طولة العمر من بعدك كمان وانت عارف مين احنا وايش الي بنعملو
بالصهاينة، وأظنك سمعت بالقنبلة الأخيرة الي انفجرت في دورية
الاحتلال عند الجندي المجهول في غزة .. طيب احنا قاعدين ولا واقفين
ولا حتى نايمين بنزلزل الأرض تحت رجليهم

محمد: طول عمرك يابا وانت طاهر ونضيف ما بنرضى ولا أي حد كمان
بيرضالك توافق على كلام الحاكم وديله.

أحمد: البلد كلها بتحلف بحياتك ولازم يضلوا طول عمرهم يحلفوا بحياتك.
عبدالله: طيب انت الوحيد الي قدر يواجههم ويصمد قدامهم همه بفكروا
يقدرُوا يذلونا عن طريق محمود، والله لا هم ولا شياطينهم كلهم بيأثروا على
شعرة من شعرات راسك البيضاء ولا بيدنسوا حبة رمل تحت رمل رجليك.
أم أحمد: شوف يا حاج أنا قلتها كلمه لو عزمتهم والله والله ما بقعد في الدار
ولا راح تشوف وجهي أبدا.. بلا منه محمود .. يكفي ربنا أعطانا .. عندنا
أحمد ومحمد وعبدالله .. نعمة وفضل من الله .. خلي محمود بره، بنبقى نجيبه
زيارة والسلام، هو احنا بدنا نخرب ديننا ونوسخ اسمنا على آخر الزمان .. في
داهية هم والي يزرهم لهم..

الحاج اسماعيل: مباركة يا ام أحمد مباركة، مباركين يا أولاد مباركين،
طول عمري اعتز وأفخر بكم، وقولي والله هو قولكم، وراح أفض

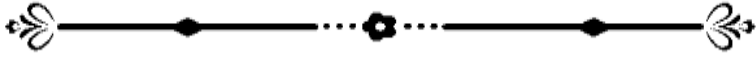
الموضوع من ايدي وبكرة لما ييجي حمزة على الديوان زي عادته راح اشربو القهوة سادة وسادة عن صحيح.

....

قبيل صلاة المغرب بقليل يقترب حمزة من باب الديوان .. يدلف منه الى داخل قاعته الكبيرة المفروشة ارضها من جميع نواحيها بالفرش القطني، والوسائد المزركشة تتوسط المراتب في حين انتشرت المساند على الحائط حيث يسند الجلوس ظهورهم عليها، في احدى الزوايا ثمة كراسي وبعض الكنب الكبير لجلوس الضيوف عليها .. بكارج القهوة مرصوفة فوق الكانون حول النار المتوهجة الذي يزكيها بالخشب كلما خبت الحاج خليل المتكفل بأداء جميع المهام التي يتطلبها الديوان.

كان الجلوس كثيرون نوعا ما ... حيث يستعدون لأداء صلاة المغرب جماعة، وعندما أقبل حمزة كان المجلس بين متوضئ للصلاة وبين مستعد لها .. ينتظر دوره ريثما يتم زميله وضوءه

... أما الحاج اسماعيل فقد كان ممن أتموا وضوءهم وجلسوا يسبحون الله ويذكرونه في انتظار أذان المغرب عندما رأى حمزة داخلا .. فاستعد له الاستعداد الذي يليق بما سوف يقوله له الآن .. حيث ابتدره قائلا .. تعال هنا.. جني.. كيف حالك.. يا ولدهات القهوة للضيف .. بس كتر سكرها... حمزة: بس أنا بشربها سادة دايم يا مختار وقهوة الديوان بتتقدم سادة المختار اسماعيل: اليوم غير عن امبارح ولازم تشربها حلوة الي تليق بك



حمزة: الله يخليك يا مختار بشوفك مبسوط .. أيوه هيك افرد وجهك الدنيا ما تساوي لحظة الواحد يحزن فيها.

المختار اسماعيل: بتقول حكم والله .. وكلامك حلو وصحيح، الدنيا كلها ما تساوي لحظة الواحد يتنكد فيها..

حمزة: بتهياي انت فكرت بالموضوع يا مختار ولازم وافقت على كلامي المختار اسماعيل: موضوع ؟! موضوع ايش ..؟ وكلام ايش الي وافقت عليه..

حمزة: موضوع ابنك محمود وجمع شمله واللا نسيت..

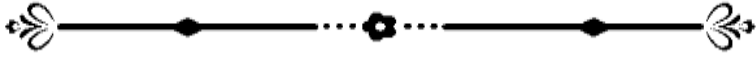
المختار اسماعيل: ابني محمود ..؟! بس أنا ما بتذكر انه لي ولد اسمه محمود.
حمزة: ايش هالكلام يا مختار ..؟ لسه امبارح متكلم معاك بالموضوع ..! والحاكم اليوم شدد على موضوعك بالذات وانه لازم ينتهي منه بأسرع وقت .. وخصوصا أنا اسمعت ان الحاكم (الإسرائيلي) راح يتغير بعد خمس شهور وهذا سر لم أقله لأحد غيرك، والله هو بدو يخدمك الخدمة هادي قبل ما يروح من عندنا والله هو زلة طيب ومن كلامه عنك تبين لي انو بيعزك كثير.

المختار اسماعيل: ايش الكلام الهبل الي بتقوله، محمود مين وجمع شمل مين .. وايش الخدمة الي الحاكم بنفسه بيتكرم وبدو يخدمني اياها، طيب أنا ما طلبت منه شيء وأنا الحمد لله أولادي كلهم عندي هذا أحمد وهذا محمد

وذاك عبدالله، هؤلاء هم أولادي لم أنجب غيرهم ولا عمري كله كان لي ولد اسمه محمود ..؟ حتى أسأل الناس .. يتوجه المختار الى الناس يسألهم .. اسمعتم قبل الآن انه يوجد لي ولد رابع واسمه محمود ..؟ ... يتسارع الموجودون بالجواب .. وبطريقة تعبر عن السخرية .. ولا حتى حمد يا مختار!..

المفاجأة وقعها شديد على حمزة الذي أصبح وجهه يحاكي في لونه اصفرار الأموات .. لم يحتمل أن يهزأ به الى هذه الدرجة جميع الناس تعرفه ويخشون سطوته ولا يجروء أحد أيا كان أن يهزأ به بهذه الطريقة .. الا هو .. هذا المختار.. المتعجرف .. ماذا يظن نفسه .. انه الوحيد الذي جعله أضحكة

نظر حمزة الى المختار اسماعيل ووجهه يمتلئ بالخسة والندالة وقال له: يبقى هذه قهوتك الحلوة يا مختار.. رد المختار باشمئزاز: .. وشربتهالك يا حمزة .. وبعد اليوم قهوتك عندي حلوة ما في غيرها



العشاق لا يحبون مرتين⁴

1981 / 5 / 7

قلت لها أحبك
سكتت ولم تُلقِ ردّاً ..
ثم غابت عن ناظري ..
امتطيتُ ورائها الأحلام،
رحلت أبحث عنها بين الشُّموس .. بين المواسم الربيعية
لم يُننني وهَجَّ العذاب القُرْمُزي ...
ولم يثبط من حَمِيَّتِي العَجَلُ بُعد المسافات وطول السفر
الحب كان في قلبي منذ وُلِدْتُ وكنت عاشقاً ...
وما زلت أُفني عمري من أجل كلمة واحدة تتربع على أعظم عرش في
العالم.. الحُب ..!

وسط الصحراء مع سقوط بشرقي الجليدية التي أذابها سعيُّ الخوف
من انتهاء رحلتي قبل الوصول ومع بداية تراجع عينايا عن الامتداد نحو
كل الجهات تبحث في كل ركن أمامها ومع اصطكاك ركبتاي من وَهْنِ

⁴ نشرت في صحيفة الفجر الاماراتية عام 1982

الفُروسية الهائمة في الفراغ ظَهَرَ ظِلُّ شجرة .. بانت الابتسامة بين شَفَتَيَّ
وتجاسرت على كل آلامي حتى وصلت ظل الشجرة الرطيب...

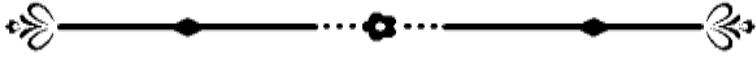
كانت هناك ممسكة بمعزةٍ تَعَصِّرُ الحليب من ثدييها تجهزه لي حين وصولي
...ولأنها تعرف مدى ظمأي الطويل أَبْعَدَتِ الوعاء عن يدي الممدودة اليه
وقالت: أما عرفتني يا فارسي ؟ عجبت .. كيف لي معرفتك وأنا ظمآن ..
أروم ارتواء مُهَجَّتِي المتشقة من جَمْرٍ فراق محبوبتي ..

من وراء خمارها الأسود ابتسمت، عرفت ذلك من بريق عينيها ومن
فتحة ثغرها الدقيقة خلف الخمار الشفاف، قالت: ثبت نظرك علي، واستمع
إلى حس قلبك ماذا يقول لك ...

اضطربت من كلامها .. شَكَّكْتُ في أمري .. أَيْمُكُن أن تكون هي من
فقدتها ؟ أَيْمُكُن أن تكون هي وبعد لم أصل إلى جبل قاف الموجود في
بلاد واق الواق .. أنا واهم ليست هي ...، قلبي يحدثني بذلك، تجهم قلبي ولم
أرد ..

عرفت ما يدور بخاطري، بعصبية صرخت : أنا .. أنا هي .. فتاة أحلامك،
من زارتك في رؤاك .. اعترف بذلك .. لا تجحد فرصتك واهناً بالراحة التي
وصلتها ...

لستِ هي .. لستِ هي .. صرختُ .. حبيبتي رحيمة لا يهون عندها أن أموت
بالظمأ، هات الوعاء إِرُونِي وسوف أرى ...
- لا لن تنال رشفة حتى تعترف



- لا لن أعترف مهما يكن حتى لو أسلمت روعي للظماً
- إذن امض من هنا، مصيرك التيه والألم، شرابك النار، مكانك العدم

....

احتقرت لحظة الوهم عندما انحرفت إلى ظلٍ مُزَيِّف الضمير والدم .
سرت في طريقي مجاهداً صُفْرَةَ الموت وحمرة اللهب ..
وأخذت عهدي لن أقف عند غابة أو بحر مُملح إلا إذا شممت ريحها
المعتقة .

مضيت في طريقي حتى تخيلت من بعيد مرتفعاً
سمعت صوت البحر يناديني أن اقترب
عرفت خداعه ونبضه الكذب ...
فلا يأمنن البحر من يسلم رأسه لسجعه المتقلب
انفلت عائداً ..

فجأة كانت أمامي سيارة فارهة، كدرّة يتيمة الزمان في مكان لا يصلح أن
يقوم فيه كوخ صياد فقير ينصب الفخاخ للغزلان
اقتربت مُحاذراً أن يكون ما أراه كميناً لا يقاوي قد نصب
وإذ اقترب .. الباب الأمامي يفتح وصوت ناعم من خلفه يدعوني للدخول
لننطلق ونبتعد .. نظرت داخلاً .. ما أجمل ما أرى ..
من هذه الشقراء كالذهب .. تخبّل اللبّ لآلئ ثغرها المُعَنَّب .

وقفت مشدوها لشوبها الذي لم يكن سوى قطعة أو قطعتين أصغر من أن ترى على جسمها اللدن .

تمايلت لما رأتني أمدّ عنقي داخلاً وتوهمت، وبصوتها المملوء بالدلال والغنج وذراعها الممدود بنشوة الظفر... تكلمت :
هلم إليّ أطفئ لهيبَ صدري المرتجف .. اقتحم ..
هذه أنا أنتظر

أنا من جُبتَ البلادَ عنها باحثاً دون ملل
أنت هو حبيبي وفارسي المرتقب

أراك كل ليلة على مُهرٍ أبيض
بيدك القوية الزند ترفعي ورائك وتنطلق ..

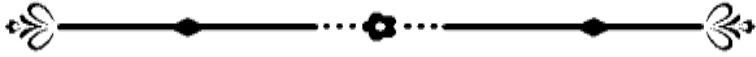
هيا لا تضيع فرصتك وتضيعني معك بعد أن تم اللقاء المنتظر ..
لَمْ أجد جواباً قلبي يحدثني ليست هي ..

لا تكون حبيبتي مُموجة، وهي ليست فارهة مرفهة .. تتنقل من ملابس
الأدب حتى أمام حبيبها الذي تدعيه وترتقب

لا ؟.. لست أنت من أحبها ..

لست أنت من تشدني إليها لَوَاحِظُ الحب والأمل ..
ما أنت إلا صَنَمٌ مرمرٍ قد نُحِتَ .. دون روح ..
دون عقل ..

طُفْرَة في التاريخ أنت لست أكثر ..

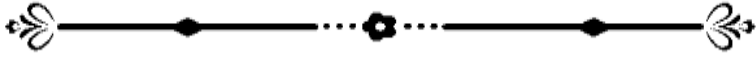


لم تكوني من قبل هنا
ولن تكوني من بعد أن أطرُدك وأنصرف .
سَخَطْتُ وَخَبَطْتُ بكفها مَقوَدَ سيارَتِها ... الملتهب كصدرها المزيف
الحرارة والنفس.. وانطلقت ..
أيها المجنون أضعتني وفقدت فرصة العمر لا لـجب .

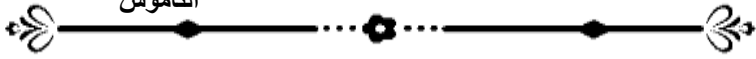
.....

ويهزني الأمل رغم موجات ضَغْفي المتزايدة الصَّخَب، ليس لي كلام، ولا
فكر، ولا أمل .. غير بلاد واق الواق وجبل قاف، ليتني أملك بساط
السندباد أو طاقة الإخفاء، لا أريد أن أصطدم مرة أخرى بامرأة .. أيّ
امرأة مموهة حرباء لا لون لها .. لا طعم لا بتسامة ثغرها .. مشواري بعيد
وطويل لكنني كل يوم أقرب ولن أقف مرةً أخرى أمام أيّ امرأة ... لأنني
أحب حبيبتي أحبها ... لن أقف .
منذ رأيت حبيبتي ..
منذ ولدت وكلمتها
عرفت معنى أن أحب وأن أعيش عاشقا
وأن أرتحل في سماوات عشقٍ أبديّ لا ينكمش ...
بالحب أصبحت فارساً يَفْهَرُ بسيفِ حبه سَطَوَات الكراهية والخمول
والقرف .
أيتها العجوز الطيبة ...

مُحَيَّاكِ الحَسَنِ يَبُوحُ لِأَعْمَاقِي سِرِّي الطَوِيلِ،
رُؤْيَاكِ تَزِيحُ عَنِ نَفْسِي طُفَرَاتِ الشَّرُورِ وَالْأَلَمِ
هَاتِ يَدَيْكِ أَقْبِلْهُمَا يَا حَكِيمَةَ عَصْرِنَا،
دَعِينِي أَنْحِي أَمَامَ حَكْمَتِكَ الصَّادِقَةِ،
أَيْتَهَا الْحَكِيمَةَ الطَّيِّبَةَ قَدْ فَقدْتُ حَبِيبَتِي
وَمَرْتُ سَنُونَ وَسَنُونَ وَأَنَا أَلْفُ الْبِلَادِ وَالْفِيَا فِي،
أَعْلُو الْهَضَابِ، أَهْبَطُ الْوُدْيَانِ، أَخْرُ عِبَابَ الْبَحَارِ، أَرْسُو عَلَى الْمَوَانِي الصَّغِيرَةِ
وَالْكَبِيرَةِ دُونَ الْعَثُورِ عَلَى أَثَرٍ، دُونَمَا لَمَحَةُ أَمَلٍ،
أَعْرِفُ أَنَّنِي سَأُصَلِّ،
أَيْتَهَا الْحَكِيمَةَ الطَّيِّبَةَ قَدْ اجْتَرَزْتُ الْمَنَايَا وَالْمَنُونِ،
أَفْشَلْتُ الْكَمَائِنَ وَالْفَخَاحَ،
لَوَيْتُ وَجْهِي عَنِ الْجَوَارِي وَالْحَسَانِ،
رَضِيتُ بِالْجُرُوحِ وَالظُّمَأِ،
رَضِيتُ أَنْ أَتِيَهُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ،
لَكِنِّي لَمْ أَسْلَمْ الزَّمَامَ
وَلَمْ أَدْعِ ذَكَرَ حَبِيبَتِي الْمُنْشُودَةِ وَالْأَمَلِ،
أَعْرِفُ أَنَّنِي سَأُصَلِّ،
وَأُنِّي سَأُجِدُ حَبِيبَتِي الَّتِي لَا بَدَّ تَنْتَظِرُ
تَأْتِينِي كُلَّ سَاعَةٍ فِي الرُّؤْيَى وَفِي يَقْظَةِ حَيِّ الْعَظِيمِ،



تعلو شفتيها ابتسامة الفوز والفرح،
وجهها شمس يقهر الظلام والنجوم،
حبيبتى ليس لي سواها
يا حكيمة عصرنا .. بالله دبّرني وأعلميني أقرب السبل ... أنا مصمم ألاّ
أناها إلا بشق الروح والنفس .
تململت الحكيمة الطيبة وجلجلت ابتسامة ثغرها وتكلمت :
يا ولدي الطيب ..
بمرآتي المسحورة كنت أراقب خطواتك
كنت معك عند مواقع الخطر ...
أنقذتك مرات والتالية المرة الأخطر
فاسمع مني وتصنت ...
يا من نال عذاب الدنيا أجمع ..
وتغلب على الصرخات والآهات الدامية الشكى ...
أعرف عنك أن وصولك حان
هذا قدرك ..
مشوار خطاك ينتهي الآن
احفظ كلماتي وأعلم أن هذا قدرى أيضاً
عشت لأقودك إلى حظيرة أمنك، وخميلة حبك
افرح وابشر ..



سأتححر من هذه الدنيا بعد أن أرشدك طريقك

أنظر خلفي

وهاك عصاي احملها .. لتصبح سيفك ..

ستقابلك نخلة تعشش في أعلاها حمامة

وفي أسفلها يقف الثعلب

يتلقف الفراخ الساقطة إلية من علو النخلة،

أقتل الثعلب بعصاك

لا تخش منظره المتحفر

اضربه .. سيموت من أول ضربه ..

سترى الحمامة وقد طارت على مستوى بصرك

اتبعها لا تتخلف

يومين وثلاث ليال ثم تعترضك سدره ..

احذر فثمة أفعى ترقد تحت الجذع .. لا تتحرك ..

دعها تغير الثوب الأرقش وانتهاز الفرصة

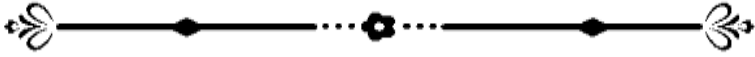
اضربها بعصاك لا تخش نايبها

اضربها على الرأس يتحطم ناباها وتموت .

ستترك الحمامة وتعود ..

أدخل تحت السدره واستسلم للنوم ..

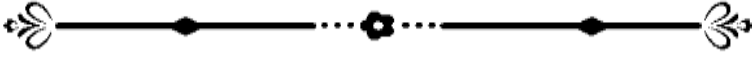
ستنام يوما وبعض اليوم وتقوم نشيطا ..



تطلع إلى أعلى الشجرة
ستشاهد عشاءً مملوءاً بالبيض
وعلى غصن آخر ستشاهد عصفوراً يرتعش من الخوف
مُدَّ عصاك نحو جثة الأفعى وألقها تحت وهج الشمس
ستحترق على الفور فيراها العصفور ويطير ..
اتبعه ساعة وبعض الساعة
ستصل إلى وادٍ أخضر بوابته بين جبلين يصل بينهما قوس للنصر،
سيتركك العصفور ويعود ..
تقدم أنت لا تخش شيئاً .. معك عصاك ..
عند منتصف المدخل قف تحت قوس النصر
انشد أغنية للحب
ثم العب بعصاك كالفارس يلعب بالسيف
ثم أدخل آمن وعد خطوات عشر
انظر أعلى بصرك
سترى قصرًا يشمخ تحت شجرة زيتون ..
لا تتردد وتوجه نحوه .. كل العقبات الآن تزول ..
ستجد حبيبتك تنتظرك باكية العينين على باب القصر تمسك بيدها مقود
المهر الأبيض، أركبها فوقه من خلفك وانطلق لتوك فهذا حبك يا ولدي
أسرع، ولا تستسلم للخوف

والآن يا ولدي أتركك إلى دنيا أخرى فقد أديت رسالة عمري نحوك
وأوصلتك إلى قصر الحب .

غمرتني الفرحة وأنا أرى شجرة زيتون تشيد قصراً تسكنه حبيبة قلبي
الآسي، منفية عن هذا الزمن القاسي محرومة من رؤية فارسها ممتطياً
المهر الأبيض



الكابوس⁵

18 / 4 / 1981

كان الزمن يتراجع عندما انقطع العناق بين العصافير، وكانت الهاوية تمتد إلى أعماق غاضبة لا قرار لها عندما سقطت الأشجار واصفرت الأرض بؤساً وموتاً وعواءً .. وعندما اغتالوا ابتسامة الجنين الذي انتظر الولادة، انحلت أصابعهما، وانتثرت بقاياهما كشظايا القنابل بين الطرقات المشوهة بروائح الجثث المتعفنة، حيث الذئاب تراكمت عليها، تلتهم بقاياها القديمة ...

قال لها عندما أحس بالساعة تقترب إلى نهايتها، وشعر بطعنات راقصها الذي يعلن فرحه الأبدي لقدرته على السير في مقدمة الجنازات المتوالية في طوابير لا تنتهي أبداً .. قال لها: ما أبشع أن نغلق عيوننا ونفتحها فلا يرى أحداً الآخر، وما أفظع أن نئد أحلامنا التي أعطتنا القوة على البقاء، رغم سموم الأفاعي التي تحيطنا من كل جانب تتحين فرصتها لا ابتلاعنا في جوفها الحلزوني المعتم ..

أننا لم نكد نتفارق ونضع توابيع نظراتنا .. ودماءنا على صفحة السماء، لتظل وثيقة ثابتة تشهد على أصالة حبا الذي كان دائماً أقوى من

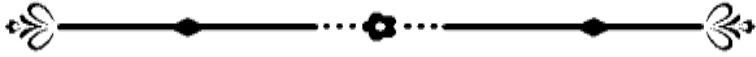
⁵ نشرت في صحيفة الوحدة الاماراتية عام 1981

كل ربح تعصف بنا كراهية وحقدًا .. أشعر بالرعب يشلني عندما أفكر بأن
فراقنا سيتم الآن .. لا يربعني أنا سنفترق، ولكن رعيي ينتهي الى عجزى
عن قطع هذا الفراق في اللحظة التي أحدها أنا .. لا أعرف إذا كنت
سألتقي بك مرةً أخرى ..

إن وجه الأرض ليعبس لي، إذ أكون الوحيد العاجز عن تحديد
ميعاد للقاء متجدد متواصل مع عناصر الحياة والحب والفرح ... تماسكتُ
أمامه .. ولم تستسلم للدموع التي برزت لي تنزل مطراً مدراراً .. إنها تعرف
نهايتها وأن الشجرة الأخيرة قد قاربت السقوط، فقد جفت أغصانها، وها
هي الشرارة تمسك بها لتأتي عليها نهائياً فلا يبقى منها شيء أبداً ...

تظاهرت أمامه بالأمل، أعطته ابتسامتها التي كانت من نزعتها
الأخير، لكنها أثبت أن تثنيه عن طريقه، عليه المواصلة في مكان آخر .. قد
ينجح وحينئذٍ سيعود ... قالت له لا تيأس، عندما عرفتكَ عرفت أننا لن
نفترق .. قد تسافر في اتجاه لا يلتقي مع اتجاهي، لكنني أعرف أن اللقاء
سيأتي على غير ما نتوقع من نهايات ربيعية ..

عندما تبدأ الأوراق في الذبول، وعندما ينتابها الذبول قبل أن
تستسلم نهائياً وتسقط تحت صفعات الشيوخوخة المبكرة، حيث يعود الربيع
كل عام في ثوب حياة متجدد .. نفس ما سنفعله نحن، ستنتهي السنوات
العجاف التي تلاحقنا بالجوع والعري وسنلبس حلةً جديدة تفرز ألمانا
وأحلامنا من جديد .



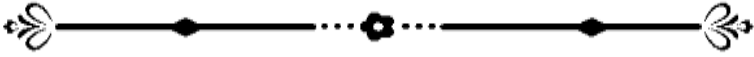
انطفأ الأفق الوردي نهائياً، واندثرت الأرض تحت أستار الليل
السوداء العامرة بالكواكب وبالانفجارات، التي تفتك بالأقمار عند
محاولتها الهبوط إلى الأرض .. ليس ثمة أصوات سوى زججرة الحيوانات وهي
تصادم بعضها بعضاً، بحثاً عن بعض العفن المنسي- على الطرقات، وقد
امتزجت وحوش النهار المقفل بالفضاءات الوقتية التي لا تكشف الرؤية
بل تعدمها ..

ومن بعيد بدا البحر الملك، الذي يبتلع في جوفه الزغاريـد
والصرخات .. لم يُبق على شيء فوق الشاطئ إلا قبراً سقط شاهده الوحيد
الأبيض .. نسي البناء أو تعمد ألا ينحت اسم الميت على لوحه، وكأنه ليس
من حق هذه الجيفة أن تمتلك بيتاً صغيراً فوق الشاطئ، تدلى عليه
جريدات نخلة عجوز، آلتها الوحدة الطويلة، وقهرها الخوف أن يقتلعها
البحر من جذرها رامياً بها إلى جوفه المغلق الخائق المجهول ..

في الليل يُعَقَد البحرُ الرؤية، إذ يغشي- عينيه الغضبُ لهذي
القاذورات التي لا تنتهي أبداً، فتندفع أمواجه نحو البيوت يطيح بها على
الأرض حجارة ممسوخة .. ولكن ثمة قلعة جميلة بناها الأطفال على
الشاطئ أثناء أحلامهم الوردية البيضاء الرقيقة، بقيت صامدة لم تستطع
الأمواج الهادرة من حولها أن تقتلع ابتسامة الحلم الطفولي الرائعة المنقوشة
على سورها .

على مدى العواء والصهيل كانت السفينة تقف ساكنة براكبها المشعوذ الذي يلوح بيديه نحو الشاطئ .. لقد رحل هذا الصباح بعيداً، وفي طريق إبحاره تذكر أنه نسي كل شيء أعطاه معناه وحقيقته .. حقيقته التي خلفها وراءه تنتظر عودته المظفرة .. لقد فقد كل شيء عندما ترك حقيقته على الشاطئ .. تودعه وتدير له ظهرها .. حتى لا يرى الدموع التي انحدرت بغزارة على وجنتيها الربيعيتين ..

من بعيد نظر المبحر ضوءاً نافذاً دقيقاً خلف الشاطئ ... أحس بالرعدة تخترقه، فاندفع سريعاً وبكل ما أوتي من قوة محاولاً أن يجعل من السفينة صاروخاً ينطلق باتجاه الضوء لكنها اللعنة تلاحقه .. قد ارتطمت السفينة بجسم صلب كبير لا يعرف كيف وجد الآن .. بالتأكيد لم يكن موجوداً في رحلة الخروج، اندفعت المياه متدفقة إلى قلب السفينة التي بدأت تخور وتهوي إلى القاع، حيث السكون والرعدة والتحفز ... وكان وحيداً وسط الأمواج، ووسط الليل، ووسط الخوف ... ساعات بطول الدهر انقضت عليه وهو يجدف بيديه ورجليه، متجهاً إلى الشاطئ .. في إحدى اللحظات كاد أن يستسلم للمياه، وأن يخلد لأحضانها العميقة ... لكنها كانت أمامه تناديه .. تلوح له تحته أن يسرع لينجدها ... وأخيراً وصل .. لم تكن بانتظاره .. تداخلت في رأسه الصور .. كاد أن يقفل راجعاً إلى السفينة التي اختفت إلا عمود الصاري الذي ظل منتصباً محتفظاً بعلوه الشاهق وكأنه شاهد قبر ... قاوم نفسه وخوفه .. تغلب على الإرهاق والحمى التي

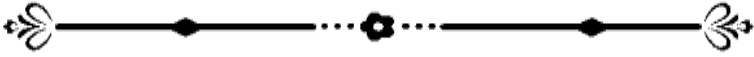


بدأت تسري في عروقه النازفة تشوقاً ولهفةً .. ومضى بعيداً عن الشاطئ في اتجاه الضوء الصغير، بحث عنه طويلاً، وعندما اقترب منه إذا بالديك يصيح ومع صياحه فرّ الضوء الصغير ليحل مكانه ضوء مسموم أصفر كالموت .. دب اليأس إلى قلبه .. لقد نفذ عرقه وكُدّه وتورمت قدماه الحافيتان .. لقد فقد حذائه في البحر .. ساعات طويلة وهو يدوس دون وعي على بقايا عظام مسننة .. اقترب من الحائط .. فهو بحاجة إلى قليل من الراحة حتى يسترد بعض أنفاسه، ... عليه أن يفكر في عملية إنقاذ ضخمة يستخلص فيها حبيبته .. صوتها ما زال يناديه ويستحثه .. لقد أدار ظهره بالأمس لها وأعلن انه الفراق الذي لا بد منه ... كيف عاد ثانية ..؟! عليه الإسراع لبشرها بعودته .. حاول القيام والمضي إلى نافذتها فلا بد أنها في انتظاره .. استند على الحائط بكل قوته وثقله فإذا به ينهار حصيـاً صغيرة، أخذَ لما يرى ولم يدرِ بنفسه إلا وقد سقط هو الآخر مستغرقاً في النوم ككومة تراب أسود لا يتميز عن الجدار المنهار بجواره

عندما استيقظ كانت خطوات الليل الثقيلة تدب أمامه من جديد، فرك عينيه بأصابعه بسرعة ليتم استيقاظه البطيء ويعجله حتى يمكنه تدبير أمره ... رأى أكداً من خيالات مجهولة تتعارك فيما بينها .. خيالات تسقط دون حركة .. وخيالات أخرى كانت تفر من نير الضربات القوية التي أطاحت بها ... اقترب منها ببطء متفادياً أن تصيبه إحدى الضربات الطائشة التي كانت تتناثر دون هدف في كل اتجاه ... عندما وصل إليها ..

حرص ألا ينتبه إليه أحد وبسرعة مَدَّ يديه بين الخيالات المتعاركة بعضا غليظة وجدها تحت قدميه ... اغتاظ .. إذ لم تصب عصاه أياً من تلك الخيالات التي تلاشت أمامه فجأة لتبدو له من بعيد وقد بدأت معركة جديدة فيما بينها .. نظر حواليه .. تكشف له الحقيقة المخيفة .. إنه الكمين وقع فيه ... الحيوانات تملأ الشارع وقد استلقت على ظهورها ببطونها المنتفخة التي تصدر عن ملامسة الريح لها أصوات كقرع الطبل .. تجذب أفواجاً أخرى من الحيوانات التي تتقدم إلى وسط الشارع ملتزمة في طريقها كل شيء حتى الحجارة والرمال .. انتابه الفزع لما يراه، وعندما قاربوه تطلّعوا نحوه بشراهة حمراء .. لم يتحمل رؤية لون أنيابهم الحمراء .. جرى مسرعاً وفي طريقه لم يهتم لأي شيء سوى الهرب .. لقد تعود الهرب .. أسباب هروبه تنوعت حتى صارت متناقضة، فما هرب منه بالأمس هو نفسه ما يعود لأجله الآن، وهو الآن يفر من فرّوا منه بالأمس .

رأى نافذة تطل عليه وقد فتحت ضلفتها ذات الزجاج المحطم، اتجه إليها .. إن نجاته ترتبط بسرعة الوصول إليها والقفز منها إلى الداخل ... سيظل داخلها إلى الأبد، عندما وصل إليها توارد إلى أذنيه أصوات نهش ومضغ لأكل .. قفز بسرعة قبل أن يستجمع تفكيره فقد التصقت ملابسه بالأنياب المنطلقة وراءه .. كان سقوطه عظيماً .. ثمة وليمة دموية بانتظاره في الداخل .. دقق النظر .. إنها عروسه المنتظرة عودته المظفرة .. لم يبق منها إلا خصلات من شعرها الذهبي .. التصقت بالأرض .. الألسن من حولها تلغ



في دمها المعجزة .. لم تكن تقاوم .. رداؤها الأزرق السماوي ما يزال نظيفاً ..
 لقد خلعته قبل أن تتفتق إلى قطع مزججة داخل البطون الجائعة النهمة ..
 أبقت ثوبها نقياً صافياً مترجماً نقاءها وحبها الأبدي وإنها أبداً لم تعرف ولم
 تمارس الخيانة .. حاول الاقتراب من خصلاتها الملتصقة بالأرض لينتزعها
 ويشدها حول رقبتة الآثمة التي طأطأت عندما استسلمت للرحيل ..
 أحاطت به صرخات الأشباح وتفتحت لتلتهمه الأنياب المكشرة ..
 وانطلقت النظرات تهزه من أعماقه .. ملأه الذعر وقبل أن يقفزوا نحوه
 تمهلهم قليلاً: دعوني أزيل عن جسدي المترهل عباءتي الوحيدة ثم افعلوا
 بي ما تشاءون .. نظروا إلى جسده العاري .. لم يروا فيه ما يشجع على
 الإيلاج في دمه وتقطيع جسده وتقسيمه فيما بينهم ... أنفوا من الاقتراب
 اتجاهه .. تركوه وقفزوا من النافذة إلى شارع اللانهاي .. جن جنونه .. لماذا
 تركوه وحيداً مع هذا الثوب السماوي وبجانب الخصلات الذهبية .. مدّ يده
 إلى ثوبها الأزرق .. أراد تقبيله ... لكن دويّاً كالرعد وقهقهة عظيمة شلّت
 يديه .. عاد إلى مكانه قرب النافذة .. كانت الأشباح والحيوانات تبتعد حتى
 تكاد تختفي .. صرخ بها .. انتظروني .. بلحظة البرق كان خارج النافذة
 يعدو وراء الحيوانات .. لم يعد له وجود في الشارع .. اختفى نهائياً .. دون أن
 يترك أثراً

المهاجر⁶

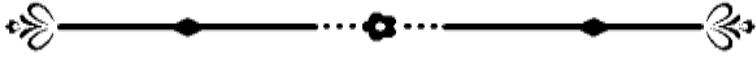
11 / 4 / 1981

لم يتجاوز ما مضى من عمر صابر الثلاثين عاماً ..
 هذه السنين لم يعيش صابر في مكان معين ولا في بلد معين،
 إذا طالت إقامته في بلد حط رحاله عندها فلم يكن ليقيم في مدينة
 واحدة، سرعان ما يتركها إلى أخرى ..
 وإن أقام في مدينة فترة أطول نجده لا يستقر في منزل واحد .. دائم التغيير
 لمحل إقامته.

كالرحالة الذين يولدون في الصحراء،
 دائم التنقل من كثيب إلى كثيب ومن أرض إلى أرض، يتبع منابع الماء
 حيث الحياة .. يبحث عن المرعى الغني بالحشائش التي تشبع طموحاته
 المجهولة داخل نفسه ولو مؤقتاً..
 صابر ..

الطيب، سمرة بشرته توهي بذلك لمن يراه أول مرة، يقضي أعماله بسرعة
 عجيبة .. تحسبه الريح إذ يمر كلمح البصر أو إنه البرق يضيء الليل كله.. ثم

⁶ ملاحظة: نشرت في صحيفة الوحدة الاماراتية في 1981/4/11



يحتفي بسرعة .. سرعتة هذه ميزة أدمن عليها، وكثيراً ما أوقعته في مشاكل هو في غنى عنها، بل وفي بعض المرات تتضافر سرعتة في الإنجاز مع طبيته ونواياه الساذجة فيصاب بالارتباك ويتعرض لمخاطر حقيقية تهدده مباشرة..

يعرف ذلك عن نفسه، يحاول تفادي إدمانه السرعة، يحاول إشراك عقله ليصاحب طبيته .. لكنه يفشل باستمرار..

ويقول لنفسه: إنه خلق للحركة والاندفاع ولم يخلق ليستقر ويهدأ وينام، خلق ليبحث، ليجري، ليتيه، ليصل،

وعندما يُسأل إلى أي شيء تريد أن تصل يأتي رده مُبهماً وواضحاً: ..

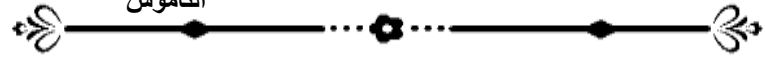
لا شيء معين أريد الوصول إليه وهذا حق .. إلى ماذا ؟ لا أعرف ..

أشعر أحياناً بأنني أقوم برحلة إلى داخلي أكتشف مجاهلي الأصولية ومكامني الأثرية،

أريد أن أصل إلى شيء لا أدرك كُنْهه، شيء ليس له شكل .. ليس له اسم، شيء غير مرئي ..

وهل الأهداف تُرى ؟ .. لا يمكن أن ترى الهدف عينٌ مجردة مهما بلغت حدة إبصارها، إنه شيء داخلي ..

لم يكن في الغرفة إلا صابر، يراجع احلامه ودروبه وأهدافه .. يحسب ارباحه وما كسب و..



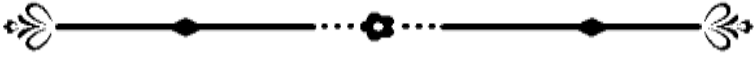
يستعرض شريط حياته من خلال خيط ذهبي لامع يشق ظلام الغرفة،
يحاول امساك النور بأصابعه،

يحتاج ليعرف كيف اقتحم خلوته التي فرضها على نفسه
ويحتاج أن يهتدي لخطوط حياته كلها بحيث تتماسك مكونة خيطاً طويلاً
يمتد لأُميال بعيدة من عمره الماضي والحاضر والقادم..

تتسارع أصابع صابر مرتعشة في الانتقال خلال الخيط الذهبي
اللامع وهو يذكر اسم الله كأنه يسبح ويشكر،
فجأة .. يقع صابر على الأرض، .. لا يعلم كيف وقع ولم .. فقط وجد نفسه
وقد وقع متمدداً؟؟ جمع أنفاسه .. شبك اصابعه النحيلة التي انحفرت فيها
آثار تدخين السجائر

وقام من مكانه وتحرك كرجل آلي دون أن يشعر.. يتابع خيط الضوء ..
لم ير من سطوة أفكاره الحائط الواقف أمامه يمنعه من متابعة تقدمه،
اصطدم به ... كيف قام من مقعده .. وكيف اصطدم بالحائط .. لا يدري
كيف..

ثمَّ إحساس ينتابه بوجود موجات مغناطيسية تخترق جسده كله .. تدفعه
باتجاه ظل متحرك غير مرئي، يجذبه إليه، يحثه المسير إليها، وعلان
الاستسلام التام برفع الراية البيضاء..



حتى إذا استسلم لهذا الشعور لم يلبث إلا والحائط يردعه يعيده إلى وعيه
 الحالك في السواد، فيعود حيراناً إلى الغرفة وحيداً.. يجلس في وسطها..
 يتذكر تماماً عندما كان يعيش بين والديه، حيث كان والده دائم
 الحث له على الذهاب إلى المسجد للصلاة.. وإلى تعلم القرآن والعمل بسنة
 رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.. وكيف كان يجامله ويذهب أمامه..
 حياته لم تعد تطاق.. ينسكب الماء الساخن على قدمه اليمنى.. لم
 يصرخ ولم يتأوه.. إنه حتى لم يعلم أن الماء المغلي قد حرق بشرة قدمه..
 حيث كان يعد فنجاناً من الشاي.. إنه مغرم جداً به لا يستطيع التقليل من
 الكميات الكبيرة التي يتناولها منه.. لقد أدمنه تماماً كالتدخين الذي
 يستهلك منه صحته لعدد السجائر الكثيرة التي يدخلها يومياً،
 إذا حدث ولم يشرب كوب الشاي اليومي مع السجارة عند قيامه من النوم
 يقضي يومه كاملاً في حالة عصبية شديدة، لا يحتمل ملامسة النسيم له ولا
 يحتمل أن يسمع حفيف أوراق الشجر.. يصبح كل شيء أمامه سيّطاً تنهش
 لحمه وصراخاً يضح رأسه..

أخذته أفكاره بعيداً وارتحلت إلى آفاق عليا بعيدا عن جسده الذي لا
 يمكن أن يعي شيئاً حوله.

لقد أُبْلِغَ أَنَّهُ وَرِثَ الْبَيْتَ وَالْأَرْضَ وَوَجِبَتْ لَهُ الْعُودَةُ إِلَى أَرْضِهِ وَالِى بَيْتِهِ ..

لكن .. وآه من لكن هذه..

فهو لا يطبق العيش في منزل واحد أكثر من أشهر معدودات فكيف يحتمل البقاء الأبدي رهين بيته الخاص وفي بلده الخاص وفي شارعهِ الخاص وبين الناس أنفسهم ..

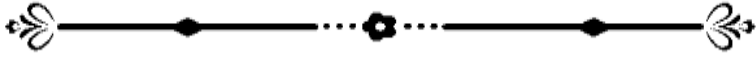
حيث الوجوه والأصوات والحركة .. روتين لا نهاية له ..

تعود السفر والترحال ،،أصبح مهاجراً، والمهاجر لا يستوطن مكاناً ولا ناساً ولا حتى اسماً معيناً.. يسأم المكوث ويسأم الانتظار، يسأم الصمت ويسأم الجلوس على الكرسي الهزاز بين أزهار حديقة بيته تحت ظل أشجارها يستمتع لشدو العصفير، يمضي وقته بلا عمل، حتماً سيشبه تنابلة السلطان لا هم له إلا الأكل والنوم .. ملل ،، ملل .

ولكن ماذا بعد السنين الطويلة التي قضاها بعيداً عن بلده..

والتي لم توصله إلى الاقتناع بحياته الحالية ..الخالية من المعاني .. العارية بدون أهداف.. فسيّان عنده أن يكون أو لا يكون له هدف ما دام هذا الهدف لا مرئياً ولا وجود له حتى الآن ..

وهو لا يقتنع بالعودة ولا بالاستقرار لكنه أيضاً وبكل قوة يحتاج إليه من أجل عائلته الصغيرة المشردة معه .. تتبعه في جميع احواله .



لقد تزوج أثناء تجواله الطويل، بني أسرة صغيرة، وانجب أولاداً وبناتاً .. ما ذنبهم ليحكم عليهم بالترحال ... يظلون مشردين مثله دون نهاية .. لقد عانوا وسيعانون الكثير مما لا تطيقه أرواحهم الطيبة السلسلة الراققة ..

الفرصة مواتية الآن لهم ليستقروا .. الاستقرار يعزز لهم كيانهم الذي سوف يقيمونه بأنفسهم ويمنحهم كرامتهم التي يستمدونها من كيانهم ومستقبلهم .. الآن لا مستقبل أمامهم إلا الضياع في لجة الغربة القاحلة، المجرد من انفاس السكينة والاطمئنان.. السير إلى لا شيء .. المجهول فقط ينتظرهم بالغموض والرعب الذي يسرق لحظات هناءتهم القليلة ..
الآن لا مستقبل .. لا مستقبل أمامهم ..

زوجته .. ما ذنبها .. تحرم الإحساس بالسعادة والأمان، كل زوجة تحلم بالبيت، وبالأولاد تربيهم، تحلم بأن تكون زوجة حقيقية لا مجرد واجهة يختفي ورائها الرجل هارباً من واقع أليم يعيش فيه ..

إنها تحبه كما يحبها ويرعاها وهي بحاجة إلى البيت وإلى الشارع وإلى الناس .. أصبحت لا تفقه شيئاً من أمور حياتها غير السفر والترحال والتغيير من عنوان إلى آخر جديد . حتى أولادها لم ينعموا بفرص التعليم التي يهربون

منها بسفرهم وتقلباتهم المستمرة ولا يحملون معهم سوى الحسرة على فقدان فرصة غالية أخرى ضاعت منهم..

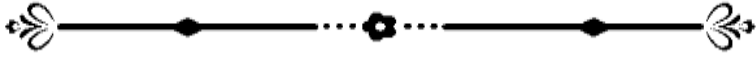
أيرسلها هي وأولاده إلى البيت والاستقرار حيث المستقبل الحقيقي لهم.. ويظل هو يواصل حياته كما يريد لها..! لكنه يعرف أنه لن يقدر على البعد عنهم ولا يتصور أبداً العودة إلى عيش العزوبية السابقة حيث الشroud المتواصل والوحدة والسراب والظلام والبرد...

عليه أن يضحي، أنانيته يجب أن تنهزم وتتوارى ... لم الخوف .. الطريق واضح .. زوجة وأولاد، بيت وعنوان ،

كل إنسان يبحث عن هذه الأشياء ... وجميعها عنده متوفرة، يملكها، .. لن يفرط فيها في لحظة أنانية قاتلة، لن يقذف بها إلى الريح تحملها بعيداً تلقىها إلى الأرض مجرد ذرات متناثرة لا شكل ولا معنى لها..

تتضح الرؤيا داخل روحه المتوثبة للوصول إلى النهار الكامل ، يتسع الخيط الذهبي شيئاً فشيئاً، ينشر اجنحته بحجم السماء الصافية .. لم يعد خيطاً رفيعاً، لم يعد له وجود..

انه ضوء لا نهاية له ولا حجم يقيدته ضمن حدود هلامية شفافة .. الغرفة أصبحت قطعة ذهبية متوهجة، اختفى الظلام نهائياً، المقاعد تملأ أرجاء الغرفة..



الحركة تملأ المكان .. موقف السيارات .. السوق المزدهم .. صراخ الباعة الجائلين .. النوافذ المفتوحة لتهوية البيوت .. تلاميذ المدارس يجرون وراء بعضهم البعض .. عربات الكارو المعبأة بالخضار .. ومواكب الأعراس تدفع نفسها مختربة كل ممنوع .. وشجار بين اثنين تحلق حولهما مجموعة من الناس يتفرجون وكأن أمام حلقة مصارعة غبية .. لا أحد يحاول الفصل بين المتنازعين ..

الحياة بأبهى صورها تجري أمامه .. تعيده إلى لحظة الصراخ الأول عند ولادته الأولى من رحم أمه الأولى التي لم يجد بعدها أما أخرى تحنو عليه وتحميه ..

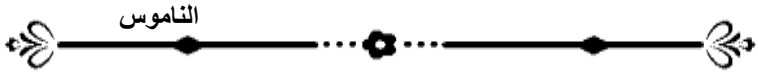
يشعر بنفسه بعيدا عن الغرفة .. لكن .. آه هذه لعب الأولاد .. طائرة .. سفينة .. دبابة .. آه ما أجمل مدفعها...

يمد يده إلى الدبابة، كانت آخر لعبة اشتراها لولده الصغير.. يضغط على زر التشغيل.. تتحرك.. يدور برجها وسط قصف مدفعها ...

ويبتسم صابر

أحس بالحياة تغمره وان روحا جديدة تسري في عروقه المتعبسة تحركها بسلاسة ويسر..

يا لها من حياة تدور كهذا البرج نحن فيها كقذائف هذا المدفع يطلقها نحو الهدف الوحيد ...



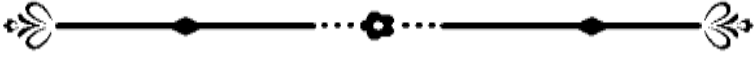
لن يظل مهاجرا

وسيعود

نعم سيعود

عودته ليس قرارا يقرره ..

عودته حالة صواب يعيشها .. عودة إلى الجذور

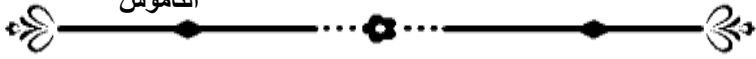


البريء

أبريل / 1981

اليوم الأول

أكاد أجن، الدنيا تدور من حولي، لا أصدق أنني في السجن،
أصبحت رقماً، مجرد رقم ... السجين (109)، يا إلهي لا أصدق أنني
أصبحت مجرد رقم، طرح من بين الأعداد التي تدب فوق الأرض حياة
وحركة وصراخاً وفرحاً .. اللعنة على هذه الخطوط الحلزونية التي تشدني ...
أحس بها تخنقني ... تفتك بي ... كيف تجمعت هذه الحلزونات المتزحلقة
وكيف تحلقت حولي، أشعر بها تشعل النار في أحشائي رغم ملمسها
الرطب... آه ها هي تصرخ راقصة، تستعد للوليمة التي تعدها للقمر ...
أويرضى القمر أن أكون الوجبة الدسمة التي يملأ بها فوهات المطفأة ليزيد
انحدارها المظلم، لا بد أنه سيفرض .. لقد كنت صديقه الحميم .. هل يتخلى
عني .. لا... لا.. لا أعتقد أنه يخون الصداقة القوية التي جمعتنا دائماً على
عهد الوفاء والحب .. لكن .. هذه الحلزونات تشوه وجهي وتغير صورتي
عنده، قد يفقد القمر ذاكرته وينساني ... فتفتتح شهيته الحمراء، ويقبل علي
بنهم دوامات البحر يقطعني بالسكين والشوكة، دافعاً بِقِطْعِي الصغيرة إلى
جوفه الجائع للحم البشري ..



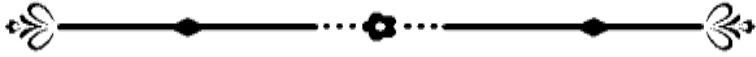
اليوم الثاني

حاولت جاهداً النوم، لكنني مؤمن بعدم جدية الحكم الصادر ضدي .. أية همسة، أية حركة مهما كانت خفيفة تنبهني بسرعة ... فأحسب أنهم قادمون ليأخذوني إلى الحرية .. فأنا بريء .. متأكد من ذلك .. ولا يعقل أن يزجوا بريئاً مثلي في السجن.

اليوم الثالث

ينتابني القلق، لا أطيق الحياة داخل هذا المكان اللعين، جميع من حولي مجرمون خرقوا القانون، حشروني بينهم، ألا يعلم القاضي أنه بحكمه عليّ بالحبس بين هؤلاء المجرمين يشوهني ويهز روجي الطيبة.

وجودي هنا يؤذيني، أرى على وجوه بعض المساجين علامات الطيبة والبراءة .. أيقونون براء هم الآخرون ؟! لا أظن هذا .. لا بد أن الأحكام التي صدرت ضدهم عادلة .. فلا يمكن للقاضي أن يحكم بغير العدل .. إن العدل مهنته وشعاره وكلامه ... لكنه حكم عليّ بالسجن .. إذن فحكمه عادل .. لا.. لا.. لا أتصور عدالة حكمه هذا بالذات .. لا بد أن القاضي أخطأ عند نطقه للحكم .. لا أشك في ذلك .. هو لم يقصدني أنا .. لعله كان يقصد المتهم الآخر الذي جلس في قفص الاتهام تحت حراسة الشرطة، لقد كنت خارج القفص أتمتع بحريتي كاملة، كيف وصلت إلى السجن .. كيف .. كيف ..



مضت فترة الصباح، وأنا أنتظر أن يصدر أمر الإفراج عني في أي لحظة، أكاد أختنق ... النهار يتلاشى .. إنه الليل والظلام .. هل مكتوب عليّ العيش ليلة أخرى بين اللصوص والقتلة.

اليوم العاشر

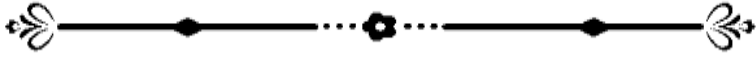
يصهرني الخوف .. أحس بضغط رهيب داخل رأسي .. أحس به يقترب من حافة الانفجار .. لم تعد لي قابلية لتناول الطعام .. مارست إضراباً عن كل شيء وضد نفسي .. كان اليوم ميعاد الزيارة .. رفضت لقاء زوجتي وابني .. لا أستطيع مواجهتهم .. فما معنى أنني باقي الى اليوم .. أشعر بأن الدنيا انقلبت رأساً على عقب وأنا ما عدت أنا ... وأحسبني صرت علامة استفهام .. سؤال غامض لا يجد أحدً سوى جوابه .. من أكون .. هل أنا ذلك الإنسان الموادع الذي يحب الحياة والحرية، أم أنا الرقم (109) المحكوم عليه بالحبس بين جدران السجن والمدان بجريمة لا تمحوها أبداً ذاكرة الحياة .. ذاكرة الشارع .. ذاكرة العيون .. ذاكرة الهمز واللمز والإشارات المتعمدة ... لا بد أنني مجرم عريق في الإجرام وإلا ما معنى بقائي إلى اليوم محجوزاً وراء هذه القضبان الحديدية الصدئة .. أرى علامات الدم القديمة المتراكمة الملتصقة بها ... حتماً هي آثار مساجين عانوا مرارة الخوف وعذاب القهر والإحباط ... أيرد جميل الإنسان هكذا .. السجن .. وسجين .. ومجرم .. و.. و.. وصفات أسوأ كثيراً لا تنتهي أبداً..

حضر المحامي لزيارتي عصر اليوم .. أعلمني أنه سيستأنف الحكم الصادر ضدي وسيتم النظر في الاستئناف بعد عشرة أيام .. أكدت على المحامي ضرورة أن يثبت براءتي .. لأنني برئ فعلاً .. برئ .. برئ ... برئ .. والله العظيم برئ..

اليوم الخامس عشر

حالي الصحية سيئة جداً وهي تتدهور باستمرار من سيئ إلى أسوأ، لا أستطيع النوم أو الإخلاء إلى الراحة ولو للحظات قصيرة وقليلة .. الأشباح تحوطني من كل الجهات، تتجاذبني فيما بينها، كأنني كرة تركلها أقدامهم الممتدة الطويلة كالصدأ الذي لا ينعدم أبداً .. أسمع ضحكاتهم المستيرية التي تزيد من تحطيمي وتدفعني أكثر إلى هاوية المصير الذي لا عودة منه مهما امتدت السلاالم، ومهما تعلقت بالحبال .. آه منها الأشباح .. إنهم يشيرون إلى مستهزئين .. انظروا .. إنه يدعي براءته .. هذا الأبله .. يصدق نفسه .. هو لا يعرف أنه لن يخرج من هنا أبداً .. بل لن ندعه يخرج ... سنقيده إلى أوتادنا الجهنمية حتى يفقد كل أمل فلا يحلم بالخروج مرة أخرى..

ها هم الأشباح قادمون يوجهون كلامهم لي .. أسمعهم وأراهم بوضوح ... بيوتاً عنكبوتية سوداء رهيبة، تمتص دمائي وقد شدوا أطرافي إلى اتجاهات متعاكسة .. أنا أتمزق .. أتمزق .. إذ أسمع صرخاتهم الحيوانية ..



اسمع يا هذا .. لن تتركنا أبداً حتى تتم فترة محكوميتك وبعدها لن ندعك تخرج .. سنجدد الحكم عليك .. سنضاعفه .. سنلصق بك تهمة أخرى تلتهم ما تبقى منك .. سنلتهمك حتى النهاية .. هل تسمع .. حتى النهاية

لا أستطيع الاستمرار في هذه المسرحية القذرة .. إنهم يسخرون مني بدرجة تفوق احتمالي البشري .. ما أنا إلا بشر .. بشر .. أوقفوا هذه المهزلة .. ارحموني ودعوني أخرج إلى الحياة .. إلى زوجتي .. إلى ابني .. إلى القمر .. إلى الشمس .. إلى البحر .. إلى الأرض .. أريد أن أمرغ وجهي في التراب .. دعوني أخرج .. أخرج .. أخرج ..

لقد أغمي علي اليوم .. عادني طبيب السجن الذي لم يفعل أكثر من صفعي عدة صفعات نزلت على وجهي العظمي، ودلق الماء البارد على وجهي ثم قال أنني بخير وما جرى لي أمر طبيعي، ويحصل لمعظم المساجين الجدد ... كم هو أفاك .. كل سجين يفعل ذلك !! ألا يرى براءتي تشع من خلال عيني البائستين .. ألا يرى وجهي المحطم .. لم يعد لي ملامح خاصة .. فقدت ملامحي السابقة التي انحلت .. لم تبقى غير ملامح الخوف والقهر واليأس والظلام .. حتى عينايا صارتا أضعف من أن تبصرا الشمس ولو كانت بكل وهجها تغطيني .. ألا يرى هزالي ونحول جسمي .. أكنت أهتم أن أحبس لو كنت مجرمًا حقاً .. حتماً كنت سأصبر، وأندم بصمت على ما فعلت .. لكنني أعرف نفسي أكثر من أي شخص آخر، أكثر من القاضي

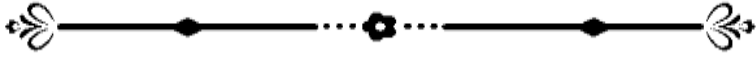
ومن المحامي ومن الناس جميعهم .. وستعينون براءتي فعلاً وستندمون أنكم عاملتموني بهذه القسوة وذلك لما يصدر القرار ببراءتي بعد أيام.. متى تأتي يا يوم الاستئناف .. حضورك السريع مهم جداً ... أحضر بسرعة قبل أن ينهار الجبل ... قبل أن يصبح مجرد حصى صغيرة يتقاذفها الأطفال فيما بينهم وهم لا يعلمون أن هذه الحصى كانت في يوم من الأيام جبلاً دافع عنهم وعن آبائهم وأجدادهم أخطار السيول والغزاة والوحوش والعواصف..

اليوم التاسع عشر

أرتعش بشدة .. نظراتي .. شفتاي .. أصابعي .. جسми كل أعضائي ترتجف .. نار .. نار تسري داخلي تنهشني عضواً عضواً ونفساً نفساً .. مثل الحمى تنتابني كبركان يفور استعداداً للانفجار الرهيب.

منذ ثلاثة أيام وأنا أرقد فوق السرير بمستشفى السجن .. لا أتحرك ولا أتكلم، اليوم فقط استطعت الكلام حيث طلبت ورقاً وقلماً وبدأت أكتب .. كل ما سبق كتبته على جدران السجن وأنا أعيد كتابته الآن على الورق ... لأول مرة في حياتي أكتب على الورق عن حالتي وعن نفسي..

إنهم يحاولون معي، لكن لا فائدة من أي علاج .. ظهور براءتي هو العلاج الوحيد الناجع .. المحامي يقول .. البراءة تحتاج إلى أدلة نفي قوية تدفع الظلم عني .. وأنا لا أملك دليلاً واحداً يدعمني في قضيتي العادلة،



ولا أملك حتى ولو شاهداً واحداً يعضدني .. أشعر أنها المؤامرة للقضاء عليّ .. الأدلة كلها ضدي . وأعجب كيف وجدت هذه الأدلة، وكيف تواجد شهود الإثبات الذين شهدوا ضدي.

أخالني مجرمًا حقاً وأني أستحق الحكم المجحف ضدي .. أخبروني أنني كنت أهذي طوال الأيام الثلاثة السابقة، وأني كنت أصرخ كما لو أن أحداً يذبني .. هم يذبونني فعلاً .. كان عليّ التنبه لما يجري ويحاك حولي، كنت ساذجاً عندما وافقت على العمل معهم، لم أكن أدري بنواياهم السوداء .. كنت محتاجاً للعمل، كانوا محترفين وخبراء في مجالهم ودسائسهم، يعرفون عملهم جيداً، ظلوا يشدونني نحوهم إلى أن وقعت .. حتى إذا تم اكتشافهم كانت الدلائل كلها تشير نحو بي بعيداً عنهم.

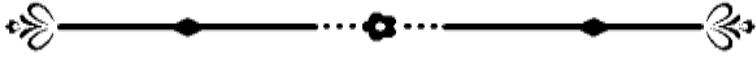
صرخت بأعلى صوتي .. أريد زوجتي وابني .. أحضروهما اليوم بل الآن .. فأنا أشعر بتحسن .. وقد اشتقت لهما .. لم أرهما منذ دخلت السجن .. رفضت باستمرار رؤيتهما ... صرخت .. أحضروهما .. أريد رؤيتهما فوراً .. الآن ..

أشعر ببعض الراحة في نفسي لا أعرف مصدرها .. سأحاول النوم حتى أكون مستعداً أمام المحكمة .. غداً يجب أن أكون سليماً معافى ليتمكنني مواجهة المجرمين .. لقد تكشفت الحقيقة في نفسي وسأكشف كل شيء وأقول كل شيء ... قد لا يستمعون لقولي لكنني حتماً سأبذر الشكوك من حولهم وسيكونون دائماً في موضع الريبة والالتهام.

رأيت زوجتي وابني .. شعرت بالراحة والأمان وبالسعادة إذ
 ضمتهما إلى صدري وغمرتهما بقبلاقي .. الحمد لله لم يرياني خلف
 القضبان وغداً سأخرج بريئاً كما كنت قبلاً .. آه ما أحلى النوم .. منذ زمن
 طويل لم أذق طعمه .. سأنام الآن فغداً البراءة...

اليوم العشرون

بينما المحكمة تستعد لنظر الاستئناف المقدم لها من المحكوم
 عليه السجين رقم (109)، إذ بشرطي من إدارة السجون يتقدم حاملاً
 بيده ورقة يقدمها إلى القاضي الذي يقرأها بصمت قبل أن يعلن قراره ...
 إلغاء الجلسة وحفظ القضية لغياب المحكوم عليه رقم (109) بسبب
 وفاته الفجائية داخل مستشفى السجن.



انتحار

1981 / 1 / 4

عليه أن يسرع .. ويهرب بعيداً عن المدينة .. بعيداً عن الصخب الصارخ
القاتل وبعيداً عن الفوضى التي تجمع بالإنسانية القابلة للخير، عليه ان
يذهب بعيداً عن روائح المدينة العاهرة التي تفجرت أحشائها فأخرجت
أجنة مشوهة تبث الرعب والدمار لكل الأيدي التي قد تمتد إليها حتى تأتي
الولادة الطبيعية كالفطرة البريئة في شفافيتها الشاعرة .. عليه أن يهرب
من المدينة التي تخنق الرياح والحدائق وتغتال المشاعر في غياب الحقيقة
التي يخشى أهل المدينة الإفصاح بها . ليدفع نفسه بعيداً عن هذا الوحش
الذي يؤرقه ولا يدعه يهنأ بلحظات يستسلم فيها للاسترخاء ليجدد
حيويته ونشاطه الذي يتبدد هراء ولأجل ماذا .. لأجل لا شيء .. غير الجري
نحو الأبواب الموصدة اما القلوب، وغير الاندفاع المجنون حيث تصطدم
الأشياء ببعضها وتتساقط الأوراق الخضراء القليلة الباقية .

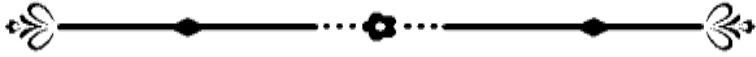
إنه يتذكر الأيام الخوالي والسنين الجميلة التي عاشها في بلدته الهادئة الحاملة
الخضراء، البسيطة في أحاديثها، ولياليها الملتفة المتدثرة بقصص القرآن
وحكايات الأبطال الخارقين الذين بنوا كرامتهم بسواعدهم وحافظوا على
أسمائهم نظيفة طاهرة بسيوفهم التي لم تقبل يوماً الضيم أياً كان شكله ..

لقد كانوا يفرزون الخطأ مهما كان بسيطاً، لقد كانت فطرتهم الحقيقة التي لا تحتمل الزيف جوارها

بلدته الجميلة التي ارتمت بين ذراعي البحر ولتعلن معه زواجاً أبدياً لا ينسلخ عقده أو تتفكك عراه .. لقد كان صديقاً خاصاً ودائماً للبحر، اتخذ من شاطئه سريره الذي يلقي عليه بجثته المرهقة فتأتي الأمواج تحتضنه بالحب تجتث من جسده الإرهاق ومن نفسه الملل . لقد طعم الحرية باقواس البحر وبخضرة الأرض منذ ولد تحت جذع النخلة العجوز التي ظلت شاهدة على الوفاء الصادق بين النبات والأرض وظلت المثال الحي على القدرة على البقاء والمقاومة لكل عوامل الموت والحريف

عندما كان يذهب الى البحر كان يحادثه، يبثه همومه وأمانيه، كشف له عن سره الذي يدفنه داخل صدره .. لكم يحب المدينة ويشتاق إليها، لكم يود لو يسافر إليها، قد سمع عنها الكثير .. اتساعها ومبانيها .. عن أسواقها وحدائقها، عن فتياتها الحسان اللواتي يزغلن العيون بجمالهن الفتان، لقد وعدته جدته أنه بإمكانه الذهاب الى المدينة كما يشتهي لكن ذلك لن يتم الا إذا نجح وحصل على الشهادة الثانوية وليلتحق بكلية الطب ليتمكن العودة وخدمة اهل بلده الذين يقدرونه ويحبونه ..

وقد كان .. بذل جهده كاملاً في استيعاب دروسه حيث أنهى دراسته الثانوية بنجاح باهر أهله للالتحاق بكلية الطب كما اشتهدت



جدته تماماً بل كما اشتهاها هو أيضاً، فلقد كانت أمنيته العزيزة التي حلم دائماً بتحقيقها .

ودخل المدينة دخول الظافرين .. أكاليل النصر تغزلها نظراته المتوقدة المتحفزة للانطلاق المجنون .. سيقود المدينة وسيصبح ربانها الوحيد يملك الأمر والنهي فيها دون منازعة من أحد ولا مشاركة، الدفة ستكون بيده ولن يدع غيره يديرها ..

اختلط بالزملاء والزميلات رفاق دراسته وبسرعة غريبة اندمج معهم فما عاد أحد ليميزه عن أبناء المدينة وهو الساذج البريء ابن البلدة القروية . اتخذ له سكناً صغيراً يتألف من غرفة وصالة صغيرتين، أراد العيش بمفره، يخطط لهجومه الكبير الذي سيشنه على قلب المدينة حيث سيمسك زمام القيادة في يده وحده .. خطط ورسم كما لم يخطط أحد من قبله وكما لن يخطط أحد من بعده

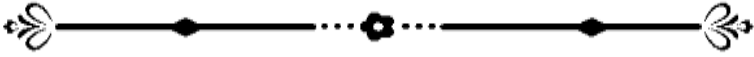
وفي لحظة النشوة والاستعداد للانطلاق في هجومه الكبير يطرق باب بيته الصغير لتدلف منه بملامحها البشعة وعطرها النفاذ يتسلل كالأفعى .. تدله بجنون .. ولم يعد قادراً على التنفس المنتظم .. غاب عن وعيه..

لقد نسي الأشياء كلها حتى نفسه، أصبح بحاراً من الدرجة المائة لا أحد يذكره ولا أحد يهتم به .. فقط تلك النقود التي تصله من جدته العجوز التي تنتظر عودته وقد أصبح طبيباً كبيراً.. حيث سيفتح عيادة

لعلاج أهل بلده ليخلصهم من الأمراض والأوبئة التي يعانون من آلامها القاتلة في عزلتهم البعيدة عن المدينة ..

آمال جدته سقطت مع آماله عند أقدام أول امرأة تقابله .. كان لها أسلوبها الذي لا يفشل مع أمثاله الحالمين بالصعود، لقد درسته وعلمت كنهه وشخصيته الشاعرة وسذاجته البريئة، وكشفت بكارته الأثرية التي خرقتها بهجومها عليه قبل أن يبدأ هجومه، عرفت سريره وعرفت أنه يخطط لهجوم من نوع آخر ولهدف آخر، كانت تراقبه باستمرار من خلال نافذته المفتوحة على الدوام وعرفت كل شيء عنه . حركاته . سكناته .. رشقاته .. كانت تراه وهو يعصر نفسه يدبر للهجوم وكانت تستلذ وهي تراه يعذب نفسه وقررت أن تبدأ هي وأن تستغل لحظات ضعفه الهادئة والاندفاع نحوه تجني ثمرته التي نضجت ولتنتقم منه حيث لم يكن يهتم بها من قبل ولم يكن ليعيرها أدنى أهمية ..

لا يزال يجري مبتعداً عن المدينة لا يريد أن يتذكر أضواءها التي جذبتة نحوها بزينتها، والتي شلت عيناه فلم يعد قادراً على رؤية الطبيعة ذات الفطرة الجميلة الوردية ... لم يعتقد لحظة أنه الظلام يشده نحو الهاوية القاع حيث تختفي الأنوار نهائياً وحيث انسحبت من حوله الأيدي التي كانت ممتدة نحوه تدفعه للوقوع حتى إذا وقع تركته في حفرته وعادت سليمة تبحث عن حالم آخر يخطط ليحكم الشمس والقمر، تتركه ليقع حيث



أذئاب الأفاعي ذات الأجراس تنتظره .. تقرر داخل رأسه بعيداً عن الوعي
الذي سحبوه منه وهو في أوج يقظته ..

كم كان يحبها، لم يكتشف ذلك الا بعد وقوعه الذنيم .. اكتشف
أنها حياته .. غناء وبراءته التي تركها خلفه عندما توجه للمدينة .. أحبها
بعنف .. وبادلتة حبه العنيف .. لكنها بريئة طاهرة . تساءلت كثيراً عن
غيابه المتكرر .. استفسرت عنه من أصدقاءه .. أخبروها أنهم لم يروه منذ
أيام ولعله يكون مريضاً .. لم تحتل فكرة مرضه وهي بعيدة عنه لا تقف
بجواره ... أخذت عنوانه وتوجهت اليه متجاوزة المحاضرتين الأخيرتين لها ..
لم يكن يعتقد أبداً أن أحداً سيقوم بزيارته في هذا الوقت، فلم
يحكم إغلاق الباب عليهما وهما يتقلبان فوق حصيره الذي اهترأ محترقاً
من جحيمه المجنون .. كان الباب مفتوحاً عندما وصلت .. اعتقدت أنه
مريض وقد تعمد تركه مفتوحاً كي يمكن لزواره الدخول مباشرة .. ودخلت
بهدوء، لم يدر بخلدها أنها ستصعق وستمتنى لو لم تفكر بالمجيء اليه .. كانا
ينهنهان أمامها من فرط التعب والإرهاق الذي شدهما من ساعات النهار
الأولى .. لم تحتل المنظر . كادت تصرخ لكنها الصورة المشينة شلت
قدرتها على الصراخ فخرجت مسرعة لا تلوي على شيء .. وانتبه اليها .. كان
عاريا تماماً وكانت بجواره ترقد كالبقرة المسلوخة تجتر بفمها ما تبقى من
لعابه الدنس، قفز كالمصعوق وراء حبيبته .. وعاد سريعاً لم يُعده إلا
إحساسه بالعري الكامل أمامها لجسده ولنفسه .. بعد ذلك لم يستطع

مواجهتها لقد كشفت زيفه وعلمت أنه لم يكن أبداً ليلبس شيئاً يخفي عريه .

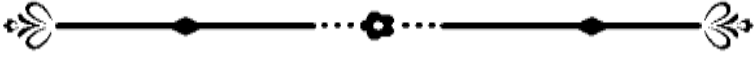
سيعود الى الشاطئ .. لا يحتمل نظرات الاحتقار والقرف تجاهه، إنه ليزوب أمامها كالבصة التي تتسرب داخل التراب القذر .. سيعود الى البحر يرد اليه حقيقته التي غابت عنه .. سيتحرر من القيود والسلاسل المحيطة بعنقه كالعبد الذليل الذي رقه سيده فلا يتركه الا لبيعه الى سيد جديد .

هيهات .. هيهات له الهرب، مازال الطريق فارغاً أمام عينيه وما تزال الأضواء تتشبث به تنهشه بمخالبها التي لا تشيع من الدماء .

إنه البحر.. ليقترب منه بسرعة .. ليقتمحه ويغسل أدرانه الهمجية التي أفسدت براءة لعبته القديمة عندما كان يتحدى الأمواج أنها لن تسقطه وتقبل هي التحدي ويمارسان معاً لعبة شد الحبل ..

لكم كانت تتساهل معه الأمواج فتزحف اليه زحفاً متوددة متذللة اليه وعندما يتمادى بتحديه تأتیه فجأةً صاخبةً وتطيح به نحو الشاطئ لكنها في كل مرة لم تفكر بأخذه الى أعماق البحر حيث الولادة الجديدة المستمرة لحياتها ..

هو الآن يطلب التحدي، يلعب لعبته القديمة، إن انتصر فيها فهي الإشارة له أن البحر قد اجتث أدرانه كلها وسامحه على تفريطه المهول بذكرياته الأليفة التي لا تنتهي أبداً ..



يسير الى الأمام بثبات لا يستمر طويلاً كما كان في السابق ولكنه
يتحدى ويستمر في اقتحامه الجريء .. الأمواج تزحف نحوه متخاذلة، لا
تريد أن تتذكر الخيانة التي ارتكبتها صاحبها بحقها .. لكنه يتقدم نحوها ..
الماء يغمره حتى سُرَّتُهُ، ويظل ماضياً في اقتحامه .. الماء يغمره حتى كتفيه
فليستمر .. الماء اقترب من ذقنه فليستمر .. الأمواج تعلن غضبها المدمر ...
تتحد ثورة الأمواج مع المغيب الذي يتوارى وراء الأمواج .. يتسع الأفق
الوردي .. يهبط قرص الشمس شيئاً فشيئاً يعانق البحر .. يقبله .. تغوص
الشمس الى أعماق البحر في بياتها اليومي في أحضان زوجها الذي لا يمل
منها أبداً ..

إنها اللحظة المنتظرة .. ليغص هو الآخر .. تلك فرصته الوحيدة
ليلتقي بالشمس .. فرصته ليقبلها القبلية الأبدية والأخيرة .

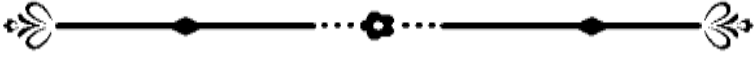
الأم⁷

1981 / 4 / 25

وكأنها استيقظت من رقاد ممل طويل، أزاحت سلمى عن قلبها الكابوس، الذي احتواها بين فكيه الدمويين مسبباً لها الشلل الكلي، مما جعلها تجلس شاخصة كتمثال مرمرى يكاد ينطق من دقة نخته .. انتصبت سلمى وكأنها تجلس على صفيح تشتعل من أسفله النار، حملت طفلها سالم بين يديها وكأنها تخطفه خطفاً .. ألصقته بصدرها الحنون الذي كساه الارتجاف والبرود الذي حل بها لطول الانتظار المخيف والرعب القاتل الذين غشيها تحيناً للحظة النهاية المؤلمة القادمة ..

ألصقته إلى صدرها وبلا وعي لمسارها أسرع نحو باب الدار الخارجي ... حيث غابت من خلاله إلى قلب الشارع الرمادي الحزين .. أبواب كثيرة تملأ جانبي الشارع كأنها نقوش أثرية تزين قبور الموتى الفارين من سطح الأرض طلباً للنجاة من طواعين الأرض الفسفورية اللامعة المزيفة .. الأبواب كلها متشابهة .. في وقت وجيز أكملت سلمى طرق أبواب نصف الشارع . لم تتوقف ولم تنتظر الرد من أحد كأنه يجب أن يفتح الباب على مصراعيه قبل أن تمتد يدها إليه لتطرقه .. لكنه

⁷ نشرت في صحيفة الفجر الإماراتية في 1981/4/25



الصمت يقيدها .. تريد أن تصرخ .. أن تبكي .. أن تحطم الأبواب الموصدة
بدون داع .. لكنه الصمت وراء الأبواب يقهرها .. يعتقل إحساسها وخوفها
وحبها .. إنها تشعر وكأنها قد صلبت وقسمت إلى قطع مفردة علقت كل
منها على مقبض أحد الأبواب الجدرانبة الصماء .. تطرق باباً آخر .. تمضي ..

وباباً آخر .. تمضي ..

وباباً آخر .. تمضي ..

اللعنة على هذه الأبواب ..

ألا يوجد أحد خلفها ..

ألا توجد ققط تموء ..

ألا توجد ذئاب تعوي ..

اللعنة .. ليخرج ولو ذئب قدر يلتهم ما تبقى من قطعي فيريحني من أن
أوزعها بنفسي ..

اللعنة .. لا أملك فعل شيء ...

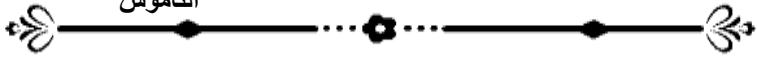
أشعر كأني ثقيلة .. ثقيلة

تنوء بقاياي بكاحلي ..

ألتصق بالأرض ..

الحجارة أيضاً تسومني العذاب ..

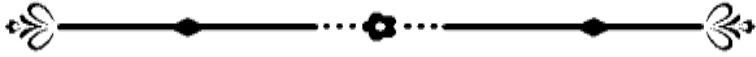
متى يزول الخط الأرجواني الذي يحاصرني فيريحني ..



آه .. إنه آخر باب ستطرقه قبل عودتها الى دارها ..
تغلق بابها الأثري الأصم عليها ..
يبدو أن الأمل المشع في عينيها سيخبو شعاعه وينطفئ ..
المنافذ سدت أمامها .. لا ..
ها هو رأس يبرز من وراءه .. الحمد لله .. إنها سعدى ... سعد .. سعد ..
سعدى...

تسندها سعدى بكل ما أوتيت من قوة وضعها الله فيها تلك
اللحظة لتمنع سقوط سالم إلى الأرض.. يا للفضاعة .. سلمى زائغة البصر
تلهث بعنف .. أسمع خفقات قلبها وجهها الشاحب يبدو أكثر اصفراراً
ولمعاناً من الذهب .. المعدن النسائي المقدس !! وحبات العرق كاللآلئ
تكسو جيدها المكتنز فتكسبه مع قسمات الحزن والخوف واليأس ملامح
الجمال والروعة..

بدأت سلمى الكلام: .. آه .. سعدى .. آه .. سالم يموت .. سيلحق بأخوته ..
سعدى: هدئي سلمى من روعك .. الأعمار بيد الله .. ما كنت لتفعلي شيئاً
يردّ قضاء الله .. إنها مشيئته .. أطلبي الرحمة لهم هم الآن عصافير في الجنة
يرفرفون بأجنحتهم .. ستجدين هناك من يظلل عليك من حريق الشمس
ومن يطلب الرحمة لك..



سلمى: وسالم أيضاً .. أتريدين له الموت هو الآخر .. سالم .. يا ويلتي إن أحداً لا يريد مدّ يد المساعدة لي يعينني في ردّ هذا الكرب العظيم . حتى أنت يا سعدى تعزيني بأبنائي تهونين على ما يجري أمامي من صور الموت المعادة .. لن أبقى .. سأنصرف .. فلا مكان لي عندك ..

سعدى: ما الذي تقولينه .. اجلسي .. أنا أريد لسالم الموت والله إنني لأعطيه روعي يعيش بها ولا أن تخرج مثل هذه الكلمات من فمك .. أنا أريد لسالم أن يموت ..؟! ... " تظل سلمى واقفة .. أنظري إنه يموت " تكشف الغطاء عن وجه سالم " انظري هاتين العينين إنهما تغوران شيئاً فشيئاً .. أنظري الى ثغره الجميل .. مفتوح دائماً لا يمكنه إطباقه على حلمة ثديي لأرضعه الحليب .. وجهه أصبح أرضاً محفورةً أباراً .. دون تناسق .. أباراً غائرة ليس بها قطرة ماء واحدة.

تنظر سعدى بجزع الى سالم ثم الى سلمى وقد أدركت فداحة المأساة التي تعانيتها سلمى .. وقالت لها : أيتها المجنونة اجلسي، أكون طفلك بهذه الحالة وتحملينه الى الشارع ..

سلمى: لن أجلس .. لن أجلس .. إنها خمسة قروش ما أحتاجها لأرد الروح والحياة الى سالم .. خمسة قروش فقط ترجع لي ولدي . تصوري لا أملك منها شيئاً ... سالم يموت .. هكذا والده يقول فلماذا نصرف خمسة قروش عليه .. بالتأكيد هذه خسارة لا لزوم لها .. أبوه نائم الآن يتلذذ مع أحلامه هادئاً معافى .. يرضن على ولده بخمسة قروش . ما قيمتها عنده .. لا شيء ..

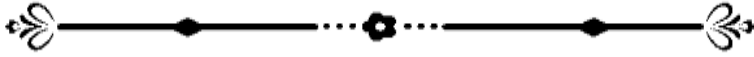
لكنها عندي تساوي حياة ولدي ورقة عيني وروحي . اعتبريها قرضاً ..
سأسدده لك فيما بعد..

سعدى: خمسة قروش إنني أعطيك كل ما أملك من مال ولكن يبقى سالم
حياً فقط أخبريني ماذا ستفعلين وكيف ستصرفين ..؟
سلمى: الدكتور فؤاد قدم من المدينة أمس وعلم بحالة سالم فأرسل يطلبه
ليعالجه اليوم وهو في بيت المختار الآن .. إنه يكشف مجاناً على المرضى ولا
يتقاضى غير ثمن الدواء..

سعدى تدخل الى غرفتها وتعود مسرعة: خذي هذا جنيهاً كاملاً قومي
لنذهب الى بيت المختار قبل أن ينقضي الأجل ويحل القضاء..

كالملدوغة تخطف سلمى النقود من يد سعدى وتسبقها دون أن
تنظرها لتصبحها .. تريد اللحاق بالطبيب فهي في صراع مع الحياة وكل
لحظة لها قيمتها وثنمها..

تُجِدُّ سعدى السير خلفها . وصورة وجه سلمى المتلهف لقبله
الحياة تنهلها من ابتسامة تشع من وجه طفلها سالم تدفعها دفعاً إلى دار
المختار....



الولادة

1989 / 8 / 1

..

ما أتعسه الإنسان .. وما أشد تعاسته ...

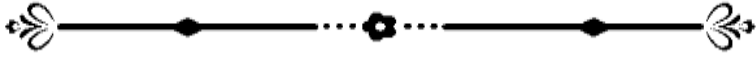
مسلم بن سالم المسلم .. الإنسانية تتهاوى أمامه، الإنسانية الطبيعية التي يتفاخر كل إنسان بتميزه بها دون باقي الكائنات الحية .. ما أفدح الكارثة، لم يعد للبشرية وجود ولا قيام، ولم يعد من المجدي أن نصف شخصاً بأنه إنسان تتأصل فيه الفطرة البديهة التي يولد بها البشر .
ما يجري أمامه ومعه يفوق التخيل، زوجه معرضة للفناء، ووليدته القادم قد لا يرى النور أبداً، وهو قد لا ينعم بأحاسيس الأبوة التي ملأت أحلامه ورسمت ليالیه، وتفجرت في عروقه منذ عرف أن حادثاً سعيداً بانتظاره ...

ما بالهن أولئك الممرضات قددن من الصخر الصلد الذي لا تؤثر فيه طرقات التكوين الزماني .. أكثر من نصف ساعة مضت من الوقت دون أن يستدل على الميناء ليرسو عنده ... مازال يركض .. يركض بلا نهاية وبلا رؤية بين الغرفة التي تضم زوجه في انتظار أن تضع مولودهما القادم .. تصرخ من شدة الألم .. آلام المخاض والتمزق الذي يقطع ما اتصل يحوله إلى

صراخ وإلى دعاء وإلى أمل يتجسد أخيراً في صورة صرخات خوف من المجهول الآتي من الحياة

رأس المولود توشك على الظهور وبعد لم تكلف خاطرها بالتحرك واحدةً ممن يدعين زوراً وبهتاناً بملائكة الرحمة .. وأي رحمة قاتلة يحملن بين جوانحنهن ..! إنهن يجلسن خلف الحاجز الخشبي الذي يفصلهن ويستطعن من ورائه مراقبة ما يجري وفيه يمارسن الحديث عن كل شيء إلا أمر القيام بأعباء الاهتمام بالمرضى فهذا آخر ما يفكرن بأدائه ... كأنهن لا يرين الزوج الذي كاد يخبل من مواصلة الصراخ بلا جدوى .. يطلب إسعافاً وإنقاذاً لزوجته ولمولوده، ومن رجاءه الممجوج الذي لا يجد أذنّاً صاغية تهب لمساعدته .

مسلم بن سالم المسلم ... الحقيقة تؤلمه .. وصرخة عظيمة تحترق حاجز الصمود والصبر عنده .. يجري مهرولاً .. إنها زوجته تناديه .. إنه يخرج.. إنه يخرج .. لا يعي مسلم ما يحدث .. ودون تفكير يرفع الغطاء عن زوجته .. آه .. ها هي البداية الأولى للحياة تطل برأسها .. إنه يراه .. يراه .. وجه وليده المقبل .. يرتفع صراخ زوجته .. بدى وكأنه صوت زلزال تتقهقر الأرض عنه فينشق وجهها لتخرج النار الحبيسة في أعماقها .. يهرول في اتجاه الممرضات .. يتكلم بكلام كثير .. لا يستطيع الوقوف ليرجوهن .. الحروف تخرج بتلقائية واضحة .. أسرعن بالله عليكن .. رأسه قد خرجت.. يكاد ينزلق بالكامل .. ربما استكمل انزلاقه الآن .. لا أحد معها



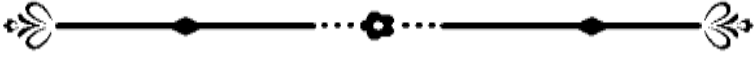
.. إنها تعاني .. لا تدعوها وحدها في هذه اللحظات الحرجة والحاسمة .. وكأنه يتكلم مع نفسه .. لا أحد يسمع ولا أحد يستجيب .. حتى الرد ولو بطرده لم تتكفل واحدة بالقيام به ..

لماذا هذا الحصار القاتل الذي تواصله ضدنا ... صرخ مسلم بعنف .. أجبني .. زوجي تتألم وعلى إحداكن التواجد معها لتقوم بعمل اللازم في مثل هذه الحالة ...

المرضات ينظرن إليه بلا مبالاة .. بدون أدنى إحساس بالاهتمام بالوالدة وبالمولود .. يتبادلن النظرات فيما بينهن .. تقوم إحداهن وبتكاسل شديد الإصرار والتعمد كأن الأمر لا يحدث أمامها ولا يثير اهتمامها وكأن الولادة معروضة أمامهن من خلال حلقة متلفزة على الهواء لتسليتهن، تمد الممرضة يدها إلى الهاتف، تمسك السماعة وترفعها إلى صدرها .. ترجيها على نهدها الأيسر المهيأ ليكون قاعدة خاصة للراحة والحمول .. تدير قرص الهاتف .. آه .. الرقم غير صحيح .. تسأل زميلتها .. ذكريني بالرقم لقد نسيت .. تعيد تدوير الرقم وتنتظر .. بعد فترة انتظار يدور حديث شفري .. مريضة الغرفة الخاصة في حالة وضع .. يقول زوجها رأس الوليد قد خرجت وربما يكون ولد بالكامل .. لحظة صمت قاتلة تمضي .. تعود الممرضة لتتكلم: حسناً يمكننا تقديم المساعدة الآن وتضع السماعة .. تنظر إلى زميلتها: هيا إلى العمل ..

يمر الوقت والصرخة يرتفع صداها بشدة .. يصرخ مسلم مع
 زوجته .. اختلط صراخه مع صراخها .. وقف بجوارها يشد يدها وهو يضغط
 عليها بكل قوة وخوف وحنان يشجعها ويشد من أزرها ويدعو الله في
 سره وعلمه أن يكون معهما ويحفظ زوجه من السوء ويجيرها من هوة
 الآلام التي وقعت بين برائتها الخائفة ..

فجأة تطلق زوجه صرخة هائلة ارتجت لها المستشفى .. وسكنت
 بعدها الأصوات .. هدوء شامل لا متناهي في الامتداد .. يتطلع مسلم إلى
 زوجه الغارقة في بحر من العرق الذي اجتاحتها كسيل جارف حط عليها
 ليضفي على وجهها ملامح البريق الأخاذ كشروق الشمس عند حضورها
 الأبدى الدافئ .. أشارت إلى الغطاء .. مد يده بسرعة ورفعها عنها .. ماذا
 يرى .. وليده .. لقد حضر .. رغم كل شيء حضر .. إنها القوة وإرادة الحياة ..
 عنفوان الانطلاق والبداية الحاضرة وعيني مسلم تتفحصان وليده .. لم
 يسمع صراخه .. بشرته شديدة الزرقة .. لا تبدو عليه علامات الحياة ..
 أيكون .. لا .. لا .. لأبعد هذا الهاجس الدموي عن عقلي وإلا فإنه
 سيدمرني .. هذا ما يسمونه الضربة القاضية .. وأي ضربة .. إنها الضربة التي
 لا قيام بعدها أبداً .. لكن لماذا يبدووا كذلك .. كميت هو لا يتحرك .. لا
 يتنفس .. يا لهول ما ألاحظه وما أفكر فيه .. أطف يا الله .. خفف عنا
 الألم والمعاناة .. أياي مولودنا فاقداً للحياة .. ومجرد انتظارنا له أعطانا



العزيمة لأن نصمد ونواصل الحياة .. ومنحنا الأمل الذي يمدنا بالقوة
المكافئة والدافعة لحركة التواجد والبقاء

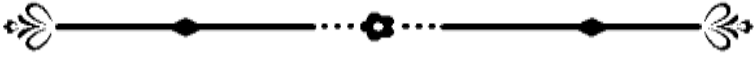
تنكسر دقائق التفكير والافتراض التي تحكم عقل مسلم بن سالم
المسلم وتهيمن على أبعاده اللولبية .. يعيده إلى الدنيا انطلاق صوت قاسي
من حنجرة متحجرة لإحدى المرضات تنهر به سيدة مسنة تطوعت لكسر
الطوق المحكم المفروض على زوجه ولم ترض بفرضه .. فهبت بتلقائية
تحمل خير الإنسانية الحقيقية الغائبة عن قلوب المرضات ... أخذت
السيدة من تصرف المرضة المانع فبهت لونها وهي تعود قبل أن تبدأ وقبل
تقديمها العون الذي تجيد تقديمه .

ولم يطل الوقت عندما شاهدن مسلم وهن قادمات في اتجاه
غرفة زوجه .. لا يرى من وجوههن إلا أعينهن، وأصابع أيديهن اختفوا مع
الكفوف داخل قفازات بلاستيكية سميكة، والملابس الواقية تغطي
ملابسهن البيضاء .. بَدَوْنَ وكأنهن سيخضن غمار حرب جرثومية،
حركتهن كانت إلى الوراء لا إلى الأمام .. عشرون خطوة للخلف وواحدة
فقط نحو الأمام .. وعلى ميقات محدد وصلن مع وصول الطيبة .. إلى
الخارج.. إلى الخارج .. هيا بسرعة .. صرخت إحداهن في وجه مسلم
باستفزازية وبقرف .. نظر إليها .. قبضتا يديه مشدودتان .. كم يود لو
يهوي بهما على رأس هذه الصورة المزيفة التي تتزين بها تلك الحمقاء
المستهترة ببشرية الإنسان وبكونه إنساناً يملك الحق كله في ممارسة

إنسانيته الخاصة به ... لكن عيناه تقعان على عيني زوجه الحبيبة فيمسك ثورته .. يحبسها بين دفتي صدره مغادراً الغرفة رافضاً في عقله ما جرى وما يجري، لا يستطيع تصديق الضياع الذي يعطي الحق بإصدار حكم الموت لمن هو غير مؤهل وغير مالك لهذا الحق الإلهي .. ورغم ذلك حمد مسلم الله على كل حال .. المهم أنهم تحركن وبدأن أخيراً .. وجئن ليعتنين بزوجه ووليده

وقف الزمن عنده، عودته إلى حالة الانتظار أعادته إلى الأمل من جديد وأعادت إليه سؤاله الأبوي: أترى المولود حي أم ميت .. أتراه يعيش .. أتراه إنهن الممرضات القاتلات .. إنهن من ذبحن الأبوة فيه .. وهن من دفن الحلم الكبير في قلبه قبل تحقيقه.. ما أبشع قسوتهن وما أفدح الخسارة التي تلحق بالجنس البشري من انحدار بشريتهن وكمون إنسانيتهن داخل قواقع الأنانية والنفعية الذاتية .. يا لهن من متكالبات على الدنيا الزائلة ... يعود مسلم إلى الدنيا من جديد .. يعيده النداء المنتظر .. نداء وليده الحاضر الدائم في كيانه الساكن أبداً في كينونته الأبوية .. إلى السماء يرفع يديه وينادي: الحمد لك يا الله والشكر يا رب .. أراد السجود عندما أطل عليه رأس خلال الباب يخبره .. ذكر .. طفلك ذكر ..

انتاب مسلماً الفرح .. ليس لكون مولوده جاء ذكراً .. بل لأنه حي وذلك يعني أنه يمكن أن يعيش، ولأن الحقيقة التي انتظرها طويلاً تتحقق

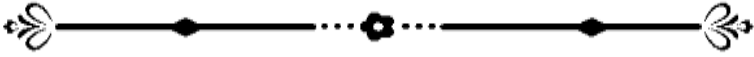


الآن حيث سيمارس أبوته ويمارس دوره ومسئوليّاته اليومية تجاه أسرته الصغيرة ..

لم يمض الكثير من الوقت عندما خرجت الممرضات تسبقهن الطبيبة من الغرفة كن يسرعن لتغيير ثيابهن تخلصاً مما يمكن قد علق بها من آثار الولادة السريعة والخاطفة .

دلف مسلم إلى الغرفة مسرعاً في حالة اشتياق وحب ليطمئن على زوجه وولده اقترب منها .. ابتسمت له محاولة إخفاء الألم الذي تعانيه .. نادته: أنظر إليه .. ولد، أترى كم هو جميل .. يشبهك كثيراً .. نظر إليها بحنو زائد .. أمسك رأسها بين يديه وانحنى نحو جبينها يقبله ويقول: أحمد الله أنك ما زلت بخير والتفت نحو ابنه .. رغم اللون الأزرق الذي يغلب عليه فقد استطاع أن يلمح جماله .. حمله بين يديه .. رفعه إلى صدره واقترب مسلم بفمه إلى الأذن اليمنى لمولوده وبدأ الأذان فيها .. سُنَّة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم أن يُؤذّن للمولود بُعِيد ولادته في الأذن اليمنى وأن تُقام الصلاة في الأذن اليسرى كما يفعل الآن تماماً ... اتجه إلى زوجه وقال مداعباً: أنظري كم هو جميل فعلاً، وهذا الجمال منك، قد أعطيته جمالاً ومنحته روحاً، لا عدمنك أبداً أبداً .. ابتسمت له وقالت: إذن سيخطفك مني وعليّ من الآن وصاعداً الحرص على حبك لي أكثر وإلا لن يتبق لي منه شيء، ضحك من كلامها وقال: أيمن ..؟ ... لا تصدقي أبداً

أن أحداً باستطاعته الاستحواذ على قلبي الوحيد دونك ولو كان هذا الواحد
 إبني فحبي له جزء صغير من حبي لك، أنت الأصل وهو الفرع .
 يلاحظ مسلم أن مولوده لم ينظف من دماء الولادة وآثارها بعد ..
 نظر إلى زوجه متسائلاً: الدماء لا زالت عالقة بجسده ويحتاج لنظافة
 كاملة.. ماذا كن يفعلن إذن أولئك المرضات .. ردت : لست أعرف ما
 يجري لنا، لقد كن حذرات جداً في تعاملهن معي وابني، لم تحاول إحداهن
 الاقتراب كثيراً مني بل ولم يلمسنني إلا للضرورة القصوى، حملت إحداهن
 الطفل من قدميه بيديها ووضعتته تحت صنوبر الماء العادي لتغسله وأعادته
 كما ترى، حاله تبين أن النظافة لم تطله، حتى أنا أحتاج للنظافة،
 معاملتهن القاسية أوجت لي بأنني غير مرغوب بوجودي .. وشعرت كأن
 حجراً فُرِضَ عليّ داخل الغرفة .. لا يسمح لأحد بالدخول ولو للسؤال
 فقط، وقد رأيت تصرفهن تجاه تلك السيدة المسنة لما أرادت تقديم المساعدة
 .. أنا خائفة جداً، هل أكون مصابة بمرض لا أعرف كنهه، مرض خطير
 ومعد ... لكنني لم أصب في جسدي ومنذ ولادتي بأي مرض أياً كان نوعه،
 وليكن أني أحمل مرضاً فهذا لا يجوز لهن أن يعاملنني كمنبوذة ولا يفترض
 بهن أن يحكمن بالموت عليّ ويقتلن النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق،
 فكيف يطالعن وجه الله الذي خلق الداء وخلق معه الدواء، نعم أشك
 بمعاملتهن فلا بد من وجود خطأ ما .. لست مريضة ولم أعالج من أي
 مرض لأنني لم أعاني من أي مرض .. اسمع يجب مغادرة المستشفى الملعون

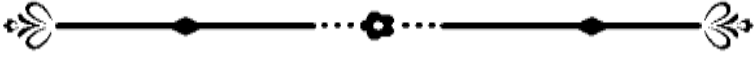


بأسرع ما يمكن، ليس بمقدوري الانتظار أكثر، أمسك بيدي أشعر بالحاجة للذهاب إلى دورة المياه لأتخلص من الأوساخ من الدماء والأملاح التي تسكن جسدي بسبب ما عانيت ..

مد يده ليسندها ... لقد بهت للحظات قصيرة بعدما سمع من قولها، مشى جوارها بسكون من لا يفقه الحياة حتى أوصلها إلى الحمام .. ولم يستطع الانتظار .. وجد نفسه يسير بتلقائية دون تحديد لطريقه، وبركان الغضب يتفجر داخل رأسه عندما وصل إلى الحاجز الخشبي الذي بدا كمحطة انتظار ركاب الحافلات، اتجه بنظراته نحو الممرضات .. استعرض وجوههن وجهاً لجهاً لعله يعثر على جواب الاستفهام المتضاعف في غرابته وفي شرعيته ... ماذا حدث ولماذا وكيف ولم ولأي سبب و و و ... يجري كل ذلك معه ومع زوجه فقط ولم يحدث مع آخرين غيرهما .. أين الحقيقة وسط الأقنعة الزائفة والأشكال الموهمة وكيف الوصول إليها وهي تقبع في قاع بئر عميق مظلم من المتاهات الممتدة دون نهاية، لم يحظ بالجواب الذي يجب انتزاعه عنوة وبأي طريقة كانت، اقترب مسلم منهن، نظراتهن فيما بينهن وتغامزن استهزاء به ونفورهن من اقترابه ثم جفولهن عندما كادت أنفاسه تحرقهن .. كل شيء يحدث يؤكد حدوث أمر غير طبيعي ويردن إخفاءه عنه .. ولم يثنه هذا الإحساس عن تقدمه، فیده قبضت ملف زوجه الذي لاحظ تميزه عن باقي الملفات ببطاقة حمراء كبيرة مسجل عليها بعض الكتابة وكان معزولاً بعيداً في مكان وحده، رفع مسلم الملف بيده، إنه يعرفه

جيداً، يقرأ المكتوب على البطاقة .. ويالهول ما يقرأه ..، هذا هو السر- إذن .. لكن أيكون ذلك صحيحاً .. لا .. لا يمكن أن يصح، يمعن مسلم في الحروف وفجأة صرخ صرخة أفرغت من سمعها .. أريد مدير المستشفى، أحضروه إلى هنا .. أين أنت أيتها الطبيبة البلهاء، أينكن أيتها الممرضات النكرات ... أين الجميع ليروا ويسمعوا حقيقة ما يرتكب من جرائم بحق الأبرياء هنا في المستشفى المفترض منه المحافظة على الحياة لا إهدارها كما فعلوا مع زوجي وابني ...

صوت مسلم جمع العنبر جميعه الذي أغلق لمنع دخول المتطفلين .. ورأى مسلم وجه الطبيبة .. صرخ في وجهها .. ماذا فعلتم بنا من الأذى أنظري هذا هو ملف زوجي .. بلا شك تعرفين القراء .. إقرأي اسمها ماذا يكون .. قرأتِه .. حسناً .. والآن اقرأي الاسم المسجل على البطاقة الحمراء الملعونة المثبتة على الملف .. هل هما نفس الاسم .. هل يتشابهان .. كدتم تقتلوننا مرتين .. مرة عندما أخطأتم بوضع هذه البطاقة في مكانها الصحيح والمرة الثانية عندما جردتمونا من إنسانيتنا ومن حقنا في الحياة في الوقت الذي وجب عليكم تقديم المساعدة والأمل والقوة ... ومسلم يواصل الكلام يلمح لوجه الحبيبة وقد حملت ابنتهما استعداداً لمغادرة المكان .. اتجه إليها ... أمسك يدها وسارا معا نحو الخارج يحملان معهما ابتسامة كادا يفقدانها في لحظة لم يملكانها، يرافقهما الأمل والحياة .



لحظات في حياة أم زياد⁸

1983 / 2 / 14

الساعة بعد لم تتجاوز الثامنة والنصف صباحاً، وما يزال اليوم هو الاثنين .. والتاريخ في الروزنامة المعلقة على الحائط يشير إلى أن اليوم يوافق الخامس من حزيران يونيو 1967 ..

الحياة طبيعية جميلة هادئة، لا يعكر صفوها إلا بعض من أحاسيس الخوف التي وجدت طريقها إلى قلوب الناس جميعاً في الأيام الماضية وبالذات إلى قلب أم زياد .. التي كانت تشتغل في حوش الدار الكبير حيث اتخذت لها مكاناً ثابتاً تحت شجرة الرمان التي تشرق كالذهب الصافي إذ تنعكس عليها أشعة الصباح المتألثة مما يعطي الصباح طعماً حلواً ومذاقاً كله هدوء وأمان ويعطي للنفس إحساساً قوياً بأنها ستحيا اليوم الجديد .

الحياة غاية في الهدوء والسكينة ...

ابنها الأكبر زياد ذهب مبكراً إلى لجنة الامتحانات ..

⁸ نشرت في صحيفة الوحدة الاماراتية في 1983/2/14

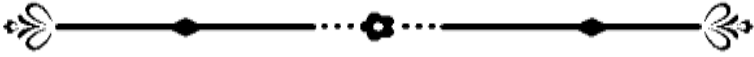
اليوم تبدأ امتحانات النقل إلى مرحلة الدراسة الثانوية هو اليوم المشهود في حياة العائلات ..

الأيام القادمة عصبية وشديدة، تحمل في العيون الخوف والأمل .. وتحمل الدعاء والرجاء .. لو اجتاز زياد الامتحانات بنجاح فإنه سيواصل دراسته في المرحلة الثانوية وسأحبه دائماً على الاجتهاد والمثابرة حتى يتم دراسته الثانوية نهائياً ويحصل على شهادتها العامة ...

عقرب الساعات يشير إلى التاسعة .. آه .. لا بد أن زياد يحاول الإجابة على أسئلة الامتحان الآن .. من الضروري أن ينجح بل يجب أن ينجح ويحقق أحلامي، هو الأمل الوحيد المشع في حياتي مع أخته الصغيرة وفاء .. إنها تجلس أمامي .. ما أحلى عيناها .. تبرقان كالناس .. تنثر في داخلي دفء شمس الشتاء وحيوية الصبر والانتظار

آه .. يا زياد ليكن الله معك وليشرح صدرك .. أرجو أن تكون قرأت الآيات القرآنية التي علمتك إياها .. ليكن الله معك يا ولدي يلهمك الحل الصحيح لتقر عينا أملك المنتظرة ليس لها إلا أنت وأختك وفاء .. لأجلكما كان صبري وتحمي للحياة .. وأصبحتما كل شيء عندي ...

ينفتح قليلاً باب الحوش المطل على الشارع .. ومن خلال عمود الفراغ بين الباب وبين الحائط تشاهد أم زياد الرائحين والقادمين .. من حركاتهم البسيطة ومن طريقة مشيهم تحس بأن شيئاً غير عادي يملأ



صدورهم وأن أمراً يشغلهم .. نعم .. إنها مثلهم .. وهي جزء منهم تعرف ما يداهمهم وما يشغلهم ويملاً صدورهم .. إنه التعب من أحاديث الأيام الماضية .. وهم لا يستطيعون إن ينسلخوا عن أحاديثهم..

أحاديث الذكريات والأهوال الجسام .. البكاء والدم والآلام التي لم تبرح الأجساد إلا بطلوع الأرواح من مستقراتها .. كم هو شيق حديث الحرب ومحِب إلى الجميع ..

عشرات السنين مرت وانقضت وهم يودون ويدعون الله أن تأتي الحرب ... يضعون أرواحهم فداء وتضحية ليوم عظيم يتمنون حضوره.. إنه يوم العودة .. إلى الأحبة .. إلى الأرض .. إلى البيارات .. إلى الدور .. إلى فلسطين .. لقد مضى الزمن بطيئاً .. ولكنهم سيعودون .. الدين والتاريخ يقولان بأنهم سيعودون لأنهم أصحاب حق وأصحاب كل شيء وقد تركوا وراءهم كل شيء لأنهم سيعودون ترى.. عندما يعودون ..؟

هل سيجدون كل شيء في مكانه دون نقص .. دون تغيير .. الناس مشغولون .. منهمكون .. بأيديهم وفؤوسهم يحفرون الخنادق في المداخل وفي الميادين وبينون جدراناً واقية من الرصاص من أكياس الرمل.. ولا عجب المدينة كلها أصبحت كورشة عمل دائرة لا تهدأ آلتها عن الدوران ..

كل واحد يريد إنجاز ما عليه ..

حتى الدبابات القديمة والتي هي من مخلفات الحرب العالمية الثانية اتخذت
أماكنها داخل المدينة عند المداخل الرئيسية وعلى بوابات الشوارع ...
منظرها يثير البهجة في نفوس الأطفال والشباب الذين أحبوا اللعب بجوارها
وخصوصا لعبة الشرطة والحرامية

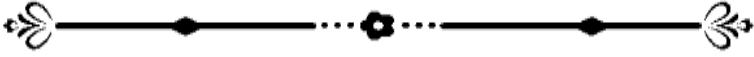
تتحرر أم زياد من لحظتها الآنية وهي تفكر فيما يجري .. أحقاً
الحرب قادمة .. هل سألتقي بأهلي وإخواني بعد تحريرهم من الصهاينة
الملاعين .. إذن سيضحك الزمن لنا مرةً أخرى ويأتينا بالفرح وبالعيد الذي
انتظرناه طويلاً ..

سننتقم من كل طليقة غادرة أطلقت على قلب طفل بريء يغني
للحياة .. وسننتقم لكل امرأة بقر بطنها وقتل جنينها .. سيعود الفلاح إلى
أرضه التي حرم منها ليحرثها ويزرعها ويحصدها .. ولكن كم أخشى-
من ذكريات الحريين الماضيتين ..

آه .. يا عام النكبة والكارثة العربية الكبرى .. عام التشرد
والضياع .. عام الأوهام المريضة .. عام المؤامرات الدنيئة التي نفذت بحق
فلسطين .. وشعب فلسطين ..

هل يحدث هذا الآن .. لا .. لا ..

أظن أن الأمور تغيرت .. كل شيء وضع الآن،



وهذا التأهب والاستعداد لن يذهب سدى ..

لكن.. الشيء الغريب لماذا السلاح داخل المدينة ما دامت الحرب ستكون
للتحرير .. هل المدينة مكان السلاح، ومكان الجنود، ومكان العربات
المدرعة، والدبابات ..

أم أن المكان الطبيعي لها هناك على الحدود
تتنبه فجأة ..

الراديو يذيع أغاني العودة وأغاني النضال و" يا بو خالد يا حبيب .. بكرة
ندخل تل أبيب " وغير إعلان أم كلثوم عن حفلتها القادمة في قلب تل
أبيب وأنها لن تكون بمفردها بل سيحضر معها جمهورها الخاص ..

الساعة تشير إلى التاسعة والنصف وشجرة الرمان لا تزال ترخي
ظلالها على أم زياد وهناك فوق الشجرة كانت يمامة ترقد على بيضها ..
والراديو كأبي الهول أمامها .. وطفلتها وفاء أراحت رأسها على فخذ أمها
تكاد تستسلم للنوم .

كادت أم زياد تعود لحديثها مع نفسها لولا أن الراديو لم يدعها
وشأنها فقد انقطعت براحه فجأة وبدأ يبث الموسيقى العسكرية
والحماسية..

تدير أم زياد المؤشر نحو المحطة الأخرى .. لا شيء سوى الموسيقى العسكرية .. يا إلهي لا يحدث هذا إلا في الحرب أو عند حدوث انقلاب عسكري ..

وقبل أن تكمل أم زياد تصوراتها دوت فوق المدينة أصوات انفجارات شديدة ..

يا للهول هذه أصوات مدافع .. أنا أعرف صوتها جيداً .. إنها الحرب إذن .. الحرب .. الحرب قد بدأت دون شك ..

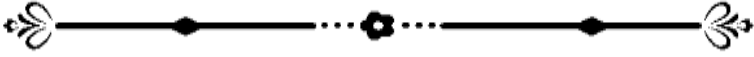
بأصابعها المرتجفة من الخوف أو من الفرحه، لا تعرف بالضبط ما بها.. تحاول أم زياد أن تستنطق الراديو الذي أبقى إلا أن يذيع الموسيقى الحماسية والعسكرية والحماسية .. تريد معرفة ما الذي يجري حولها لتطمئن وليمكنها أن تتصرف على ضوء ذلك من استعداد وتحضير ..

وآه .. أخيراً صوت المذيع يحاول الكلام .. هذا صوته طاخ .. يا للهول إنها قذيفة مدفع .. هيا أيها المذيع فلتتكلم ..

" أيها المواطنون " .. بيان عسكري رقم واحد .. إنها الحرب إذن .. المذيع يقول رقم واحد .. إذن هناك بيانات أخرى لاحقة "

وقد أسقطنا حتى الآن 23 طائرة معادية وتقوم طائراتنا بمطاردة طائرات العدو المغيرة ..

يا الله ما أعظمك



"تشعر أم زياد برغبة في أن تزغرد ..طاخ .. بووووم ... طاخ .. انفجارات هائلة تتوالى وهي قريبة .. يبدو أن الحرب قريبة جداً .. لربما داخل المدينة..

ما .. ماذا ..؟ المدينة.. وزياد ليس هنا .. إنه يؤدي الامتحان .. يا للمصيبة أكتَبَ عليّ أن أفقده ..؟ تخرج أم زياد كالمجنونة تريد التوجه إلى المدرسة لتحضر ابنها زياد الذي رآته في نهاية الشارع عائداً يجري مع التلاميذ حيث لم يكملوا امتحاناتهم بسبب الحرب ..

الحمدلله .. الحمدلله لك يا رب .. وأخذته بقوة إلى صدرها .. غير آبهة ودون أن تهتز لزيادة أزيز الرصاص وقذائف المدافع وانفجاراتها التي جعلت من السماء مكاناً تستعرض فيه حركاتها البهلوانية ..
الحرب .. الحرب يمه الحرب .. هيا اجر خلينا نروح على الدار أختك وفاء تركتها وحدها هناك .. يللا يمه يللا الحرب قامت .. الحرب قامت ..



محتويات الكتاب

إهداء.....	5
الناموس.....	7
الساحرون في الوطن.....	21
شجرة الجميز.....	31
السرطان.....	38
المختار.....	50
العشاق لا يحبون مرتين.....	66
الكابوس.....	76
المهاجر.....	83
البريء.....	92
انتحار.....	100
الأم.....	107
الولادة.....	112
لحظات في حياة أم زياد.....	122
محتويات الكتاب.....	129



للتواصل مع الدار

المعارض



التعاقدات



مسابقات

طلب إصدارات



الصفحة الرسمية

التوزيع



الإعداد

